



(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

# 201 الأربعون النووية

## الجزء الاول

(الحديث الاول الى الحديث السادس عشر)



<http://www.facebook.com/3loomshar3ia>

## الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " .

رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهَ الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ [رقم: 1]، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ [رقم: 1907] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي "صَحِيحَيْهِمَا" اللَّذَيْنِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ.

- الشرح:

- «عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه» سيدنا عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين، كنيته: أبي حفص وهي السيدة حفصة زوج النبي ﷺ

قوله ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»

- النية لغة: القصد، يقال نواك الله بخير أي قصدك به
- النية شرعاً: لها معنيان أحدهما يستخدم عند الكلام عن الجانب السلوكي والآخر يستخدم عند الكلام على الجانب الفقهي
- الفرق بين الجانب الفقهي والجانب السلوكي: الجانب الفقهي ينظر فيه علماء الفقه إلى صحة العمل وبطلانه<sup>(١)</sup>، أما الجانب السلوكي فينظر فيه علماء السلوك إلى الثواب أو عدمه أو العقاب المترتب على العمل.
- مثال ذلك: صلى أحد الناس ثم أحدث قبيل انتهاء صلاته، فما حكم هذه الصلاة؟ نقول إذا نظرنا من الجانب الفقهي فإننا نجد هذه الصلاة باطلة لم تصح ويلزمه إعادتها إن كانت فرضاً، أما إذا نظرنا من الجانب السلوكي فإن المصلي يثاب، وعلى هذا فإن العمل قد يكون باطلاً ويثاب فاعله.
- معنى النية من الجانب السلوكي: أن ينبعث القلب إلى العبادة ابتغاءاً لوجه الله تعالى
- مثال ذلك: إذا أكل أحد الناس طعاماً معيناً لأنه يشتهي فقط فهذا لا يثاب، إما إذا كان متعباً وأكل هذا الطعام تقويماً على قيام الليل فهذا مثاب.

قوله ﷺ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»

أفاد قوله ﷺ «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» من الناحية السلوكية أن المرء له من الثواب على حسب ما نوى، ومثال ذلك أحد الناس إذا أتى المسجد نوى الصلاة وطلب العلم والدعوة إلى الله وبر إخوانه .. فهذا له من الأجر على قدر ما نوى .

(١) الصحيح من العبادات هو الذي أجزأ أي سقط به الطلب عن المكلف، والصحيح من المعاملات هو ما بني عليه أثره

## الحديث الأول - الأربعين النووية

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

دل الحديث على أن النية معيار لتصحيح الأعمال ، فحيث صالحت النية صالح العمل ، وحيث فسدت فسدت العمل ، وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال:

(الأول) : أن يفعل ذلك خوفاً من الله تعالى وهذه عبادة العبيد .

(الثاني) : أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب وهذه عبادة التجار .

(الثالث) : أن يفعل ذلك حياء من الله تعالى وتأدية لحق العبودية وتأدية للشكر ، ويرى نفسه مع ذلك مقصراً ، ويكون مع ذلك قلبه خائفاً لأنه لا يدري هل قبل عمله مع ذلك أم لا ، وهذه عبادة الأحرار ، وإليها أشار رسول الله ﷺ لما قالت له عائشة رضي الله عنها حين قام من الليل حتى تورمت قدماه : يا رسول الله ! أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » .  
فإن قيل : هل الأفضل العبادة مع الخوف أو مع الرجاء ؟ . قيل : قال الغزالي رحمه الله تعالى : العبادة مع الرجاء أفضل ، لأن الرجاء يورث المحبة ، والخوف يورث القنوط . وهذه الأقسام الثلاثة في حق المخلصين .

— كيف يتبغي المرء وجه الله ﷻ في الأعمال ؟ ذلك بأن يعمل العمل :

1 . أداءاً لحق العبودية

2 . رجاءاً لثواب الله

3 . خوفاً من عقاب الله

4 . حباً لله

5 . تعظيماً لله

6 . حياءاً من الله

7 . شكراً لنعم الله

8 . طلباً للقرب من الله

9 . طلباً لله للهداية

— يثاب المرء إذا تعبد لربه ﷻ وأحدى هذه الحالات تغلب عليه وإن كان الأكمل السعي لإدراك جميع هذه النيات والتعبد بمقتضاها .

— إن قيل ما الأفضل العبادة مع الخوف أم مع الرجاء ؟ نقول الأكمل أن تجمع بينهما ، وقال بعض العلماء عند تصور قرب الموت يكون ازدياد الرجاء على الخوف أفضل وفي حال الحياة يكون ازدياد الخوف على الرجاء أفضل . فإن قيل ما الأفضل العبادة مع الخوف فقط أم مع الرجاء فقط ؟ نقول ذكر الإمام النووي عن الغزالي - رحمه الله - أن العبادة مع الرجاء لأفضل .

الحال الثاني : أن يفعل ذلك لطلب الدنيا والآخرة جميعها ، فذهب بعض أهل العلم إلى أن عمله مردود واستدل بقوله ﷻ في الخبر الرباني : « يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه » .

## الحديث الأول - الأربعين النووية

وإلى هذا ذهب الحارث المحاسبى في كتاب «الرعاية» فقال: الإخلاص أن تريده بطاعته ولا تريد سواه. والرياء نوعان: أحدهما: لا يريد بطاعته إلا الناس، والثاني: أن يريد الناس ورب الناس، وكلاهما محبط للعمل، ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم في «الحلية» عن بعض السلف، واستدل بعضهم على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 23]، فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك، تكبر أن يقبل عملاً أشرك فيه غيره، فهو تعالى أكبر، وكبير، ومتكبر.

وقال السمرقندي رحمه الله: ما فعل لله قُبِلَ وما فعل من أجل الناس رُدُّ. ومثال ذلك من صلى الظهر مثلاً وقصد أداء ما فرض الله تعالى عليه ولكنه طول أركانه وقراءتها وحسن هيئتها من أجل الناس، فأصل الصلاة مقبول، وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول لأنه قصد به الناس.

وسئل الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله: عمن صلى فطول صلاته من أجل الناس؟ فقال: أرجو أن لا يحبط عمله، هذا كله إذا حصل التشريك في صفة العمل، فإن حصل في أصل العمل بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس، فلا تقبل صلاته لأجل التشريك في أصل العمل.

نقول أحوال العاملين ثلاثة:

1. أن يعمل من أجل الله، وهذا القسم قد ذكر في الكلام السابق.
2. أن يعمل من أجل الناس، وهذا رياء محبط للعمل وبه يائس المرء ولا تسقط عنه فريضته التي أدى وعليه إعادتها فهي لم تجزئه.
3. أن يعمل من أجل الله وأيضاً من أجل الناس، وهذا فيه مذهبان لأهل العلم:
  - أحدهما: أن هذا القسم كالذي قبله، وأن عمله مردود عليه سواء كان التشريك في أصل العمل أو لا، واستدل القائلون بهذا المذهب بقوله ﷺ في الخبر الرباني: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه» وبقوله تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك، تكبر أن يقبل عملاً أشرك فيه غيره.
  - المذهب الآخر: فصل أصحابه بين من يعمل يحصل التشريك عنده في أصل العمل فهذا يحبط العمل كله، وبين من يحصل التشريك عنده في صفة العمل فهذا إنما يحبط هذا الجزء ويقبل الجزء الذي لم يكن فيه تشريك، أو بعبارة أخرى: إن كان العمل أجزاء فالشيء الذي قصد به الله والناس فهذا مردود عليه والجزء الذي قصد به الله وحده فهو مقبول. ومثال ذلك: أحد الناس دخل في الصلاة ابتغاء لوجه الله تعالى لكنه لما رأى الناس طول صلاته مراعاة لهم، فأصل أداء الصلاة يقبل منه ولا يقبل التطويل الذي زاده من أجل الناس، أما إن كان تشريكه في أصل نية أداء الصلاة فهذا لا يقبل منه.

وكما أن الرياء في العمل يكون في ترك العمل. قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منها. ومعنى كلامه رحمه الله تعالى أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس، فهو مُراءٍ لأنه ترك العمل لأجل الناس..



## الحديث الأول - الأربعين النووية

ترك العمل من أجل الناس رياء: أي من عزم على عبادة فتركها لأجل ألا يراه الناس (فيسخرون منه أو يعيبون عليه أو ... ) يكون مرائياً بترك العمل. ومثال ذلك: من له أصدقاء غير صالحين ولا يصلون الجماعة ولما أذن المؤذن بالصلاة وأراد هو الصلاة ولكنه أخرها لأجلهم فهو مراء. مثال آخر: أن يطلب من شخص أن يعظ الناس فيمتنع حتى لا يسخر الناس منه، فهذا رياء.

أما ترك العمل مخافة الرياء فليس برياء إنما هو خطوة من خطوات الشيطان، فالصواب لمن خاف على نفسه الرياء أن يعمل هذا العمل في الخلوة وهذا مستحب وهذا إن تمكن، أما إن لم يستطع أي كان العمل محددًا بوقت والوقت سيتتهي أو .. فالصواب إذن أن يذكر نفسه بالإخلاص حتى يتخلص فيه نية العمل لله ثم يعمل العمل.

ومثال ذلك: أراد أحد الناس صلاة النافلة وجاءه خاطر رياء فالصواب أن يدافع خطرات الرياء عن نفسه ويصلي حتى لا يوسوس له الشيطان ويضيع عليه دينه. فإن لم يستطع دفع الرياء عن نفسه فترك تلك النافلة أفضل وليس في ذلك إثم لأنه لو صلاها مرائياً يحبط عمله ويأثم. أما صلاة الجماعة فلا يصلح تركها بحال كأن يدعي مخافة الرياء، إنما هذا عليه مدافعة خطرات الرياء ويصلي صلاة الجماعة مخلصاً.

أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب إلا أن تكون فريضة، أو زكاة واجبة، أو يكون عالماً يقتدى به، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل.

فالجهر بالعبادة أفضل لو كان عالماً يقتدى به بشرط أن يكون مخلصاً لا يرائي بعمله، أما الطلاب أمثالنا فليس لهم ذلك لأن نفوسهم ضعيفة لا يستطيعون ضبط الإخلاص في قلوبهم.

وكما أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع، وهو أن يعمل لله في الخلوة ثم يحدث الناس بما عمل، قال ﷺ: «من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به». قال العلماء: فإن كان عالماً يقتدى به وذكر ذلك تنشيطاً للسامعين ليعملوا به فلا بأس.

— التسميع هو أن يعمل لله في الخلوة ثم يحدث الناس بما عمل، قال ﷺ: «من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به» أي فضحه الله في الدنيا والآخرة أو في أحدهما فقط.

— نية الرياء في التسميع قد تكون قبل العمل أو بعده.

مثال لمجيء نية الرياء قبل العمل: أن ينوي الصلاة بالليل كثيراً ليحدث الناس بما عمل في الغد.

مثال لمجيء نية الرياء بعد العمل: أن يصلي بالليل مخلصاً ثم إذا جاء النهار فإذا به يحدث بما عمل فهذا تسميع.

واعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب، فمن أعجب بعمله حبط عمله.

— حبط عمله: أي لا يقبل ولا يثاب عليه العبد

— من أتاه داء العجب بعمله يحبط عمله لأن إخلاصه لم يكن صحيحاً فالمخلصون لا يرون أعمالهم ومقتضى ذلك ألا يعجبوا بعملهم.

— وهذا الإعجاب بالعمل مبني على جهل العبد بحق الله ﷻ، وذلك لأن الله تعالى أنعم عليك بنعم لا تعد ولا تحصى، ولو أننا فرضنا أنك رددت شيئاً منها فلا ينبغي لك الإعجاب فكيف وأن الله تعالى هو الذي أمرك بهذا وأنه أمرك بما ينفعك وأنه أعانك على فعله بحوله وقوته وأنت لو فعلته أثابك ونفعت نفسك وأن عملك هذا لم ينفع الله في شيء وكل منفعة عائدة لك.

. 1

وكذلك من استكبر حبط عمله .

## الحديث الأول - الأربعين النووية

- الاستكبار أسوأ من العجب، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»
- الكبر أن يرى نفسه فوق غيره وأن يحتقر غيره، وفسره النبي ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» .
- الكبر والعجب يأخذ العبد من جرائهما آثاماً حتى يحجبه ذلك عن دخول الجنة.
- إذن ذكر الإمام رحمه الله من محبطات العمل ما يلي:

1. الرياء
2. التسميع
3. الكبر
4. العجب

قال : فالصدق في وصف العبد في استواء السر والعلانية والظاهر والباطن ، والصدق يتحقق بتحقيق جميع المقامات والأحوال حتى إن الإخلاص يفتقر إلى الصدق ، والصدق لا يفتقر إلى شيء . لأن حقيقة الإخلاص هو إرادة الله تعالى بالطاعة ، فقد يريد الله بالصلاة ولكنه غافل عن حضور القلب فيها ، والصدق هو إرادة الله تعالى بالعبادة مع حضور القلب إليه..

- الصدق أعم وأشمل من الإخلاص فكل صادق مخلص وليس كل مخلص صادقاً، فالإخلاص جزء من الصدق، فالصدق يشتمل على كل الصفات الشرعية (الإخلاص والخشية والإنابة والتواضع والحب...).
- قال الإمام النووي رحمه الله في مقدمة المجموع: الإخلاص أن تبتغي وجه الله -أي لا ترائي الناس بعملك-، والصدق ألا ترى نفسك فيه.
- الصدق هو استواء السر والعلن والظاهر والباطن، والإخلاص هو أن يبتغي بالعمل وجه الله ، ومثاله من صلى الله وحده ولكنه لم ينشع فهذا مخلص غير صادق، أما الصادق فهو الذي يجمع كليهما. ولذلك مدح الله الصحابة بالصدق فقال جل جلاله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وأمر الله المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ وقال تعالى في حق المهاجرين: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ وهذا لأن الصحابة قاربوا الكمال في الصفات الشرعية المطلوبة بما فيها أعمال القلوب.

.. فكل صادق مخلص ، وليس كل مخلص صادقاً ، وهو معنى الاتصال والانفصال ، لأنه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله ، وهو معنى التخلي عما سوى الله والتخلي بالحضور بين يدي الله سبحانه وتعالى .

- يقصد الإمام النووي أنه إذا انفصل عن غير الله فبذلك يكون مخلصاً، لكن إذا لم يتصل بالحضور بالله فلا يكون صادقاً، فحتى يكون صادقاً لابد أن يتصل بالحضور بين يدي الله.

قال المرزباني ، رحمه الله تعالى عليه : يحتاج المصل إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته : حضور القلب ، وشهود العقل ، وخضوع الأركان ، وخشوع الجوارح ، فمن صلى بلا حضور قلب فهو مصلٍ لاهٍ ، ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصلٍ ساهٍ ، ومن صلى بلا خضوع الجوارح فهو مصلٍ خاطئ ، ومن صلى بهذه الأركان فهو مصلٍ وافٍ .

الجانب الفقهي:

قوله ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»

## الحديث الأول - الأمر بعين النوية

— «إنما الأعمال بالنيات»: إنها أسلوب يفيد الحصر والتخصيص فبهذا يكون معنى الكلام «لا تصح الأعمال إلا بالنيات»

قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» أراد بها أعمال الطاعات دون أعمال المباحات، قال الحارث المحاسبي: الإخلاص لا يدخل في مباح، لأنه لا يشتمل على قرينة ولا يؤدي إلى قرينة...

فلو قلنا إنما الأعمال بالنيات وقدرنا المحذوف «إنما صحة الأعمال بالنيات» فهذه تكون في العبادات فقط لأن الأعمال التي تجزئ وتصح شرعاً هي العبادات فقط. مثال ذلك: إن أحد من الناس نوى صلاة الظهر وصلّاها فبهذا صحت صلاته فنعنى بذلك أنها أجزأته أي سقط بها الطلب عنه، وإن قلنا لم تصح فلم يسقط بها الطلب فيؤمر بإعادتها، أما في المباحات بمعنى لا يشترط لمن أكل ولم ينو - مثلاً - بطعامه التقوى على طاعة الله عز وجل فلا يؤمر بإعادة طعامه مرة أخرى.

وحتى باعتبار تقدير المحذوف «إنما قبول الأعمال بالنيات» فالمقصود بأن الإخلاص لا يدخل في مباح أنه لو أحد من الناس أكل طعاماً لأنه يشتهي فلا تقول أنه مخلص لأن هذا المباح لم يشتمل على قرينة ولم يؤد إليها.

... كرفع البنيان لا لغرض الرعونة، أما إذا كان لغرض كالمساجد والقناطر والأربطة فيكون مستحباً.

النية قد تدخل في مباح فتجعله قرينة فالنية تقلب المباح إلى مستحب أو واجب (بحسب حكم هذه القرينة)، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم المستحب إلا به فهو مستحب. مثال ذلك: رجل يريد أن يصلي ولكنه جائع فلا يستطيع الصلاة إلا بالأكل فإن كانت هذه الصلاة واجبة أو مستحبة فيأخذ الأكل حكمها.

والنية قد تدخل على المباح فتجعله حراماً أو مكروهاً كأن يريد بالمباح - مثلاً - إضرار أخيه فهذا يأتّم بنيته الفاسدة. والنية تدخل أيضاً على القربات فتحولها إلى معصية، كأن يرأى مثلاً فيأثم، فمن ذلك نجد أن العمل نفسه يصبح بالنية واجباً أو مستحباً أو مباحاً أو مكروهاً أو حراماً. مثال ذلك: البناء إذا لم يكن لهدف كان مباحاً، وإن كان لمسجد ونحوه كان مستحباً، وإن كان لصد العدو كان واجباً، وإن كان لغرض محرم كحانوت للخمر كان حراماً.

قال: ولا إخلاص في محرم ولا مكروه، كمن ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه، ويزعم أنه ينظر إليه ليتفكر في صنع الله تعالى، كالنظر إلى الأُمرد، وهذا لا إخلاص فيه بل لا قرينة البتة.

فلا تحول النية الصالحة العمل المحرم إلى قرينة أبداً، كمن ينظر إلى ما حرم عليه ويزعم أنه يتفكر في بديع صنع الله..

قوله ﷺ: «إنما الأعمال» يحتمل: إنها صحة الأعمال أو تصحيح الأعمال، أو قبول الأعمال، أو كمال الأعمال، وبهذا أخذ الإمام أبو حنيفة رحمه الله.

«إنما الأعمال بالنيات» هذا الكلام لا يستقيم إلا بتقدير محذوف، لأن ظاهره أن وجود الأعمال بوجود النيات بمعنى أنه لو أن أحد الناس نوى أن يصلي ولم يصل فظاهر الكلام أن الصلاة وجدت بذلك وهذا لا يستقيم. فذهب جمهور العلماء إلى أن معنى «إنما الأعمال بالنيات» إنها صحة الأعمال بالنيات، وعلى هذا فإن العمل إن وجد من غير نية لم يوجد شرعاً.

وقال فريق آخر أن الحديث يعمل بظاهره وهو أن وجود الأعمال بوجود النيات، لكن الأعمال عندهم هي الأعمال الشرعية.

## المحدث الأول - الأربعين النووية

وقال بعض العلماء وهم أصحاب أبي حنيفة رحمته الله أن معنى «إنما الأعمال بالنيات» هو إنها قبول الأعمال بالنيات. والراجح هو رأي الجمهور. تطبيق على ذلك: لو أن أحد الناس استيقظ جنباً واغتسل ولكنه لم ينو بغسله رفع الجنابة، فعلى قول الجمهور هذا لا يصح غسله ولا يجزئه وعليه أن يغتسل مرة أخرى، وعلى قول أبي حنيفة هذا اغتساله يجزئه ولكنه لا يؤجر عليه لأن قبول الأعمال بالنيات.

— إذن لا بد من وجود نية قبل أي عمل حتى يصح، كما لا بد للنية أن تكون صحيحة. والذي يميز الصحيح من غيره هو الشرع والعقل تابع للشرع ولا ينفرد بالحكم.

ويستثنى من الأعمال ما كان قبيل التروك كإزالة النجاسة، ورد الغصوب والعواري، وإيصال الهدية وغير ذلك، فلا تتوقف صحتها على النية المصححة، ولكن يتوقف الثواب فيها على نية التقرب.

— التروك: هي ما طلب الشرع الخلو عنها، كالآتي:

- الغصوب: كأن يغتصب أحد الناس اغتصب شيئاً من آخر بغير وجه حق ثم يرجع هذا الشيء إلى صاحبه دون أن يعلم الذي اغتصبه فلا يلزم الشخص الذي اغتصب هذا الشيء أن يغتصبه مرة أخرى ثم يرده بنية، إنما سقط عنه الطلب بمجرد أن رد الشيء المغصوب إلى صاحبه لكن يبقى أثماً إذا لم يكن ينوي رد هذا الشيء المغصوب.
- رد العواري: جمع عارية وهو الشيء المستعار والفرق بينها وبين القرض أن في العارية تأخذ الشيء لتستعمله ثم ترده بعينه أما في القرض تأخذ الشيء تستهلكه ثم ترد قيمته.
- إيصال الهدية: كأن يكلف أحد الناس كلف آخر أن يوصل هدية إلى فلان، فلو وصلت الهدية بدون نية هذا الشخص الذي كلف بإيصالها سقط الطلب عنه وصح إيصال الهدية ولا يلزمه أن يستردها ثم يعاود إيصالها بنية.

.. ولكن يتوقف الثواب فيها على نية التقرب ومن ذلك ما إذا أطعم دابته، إن قصد بإطعامها امتثال أمر الله تعالى فإنه يثاب، وإن قصد بإطعامها حفظ المال فلا ثواب، ذكره القرافي، ويستثنى من ذلك فرس المجاهد، إذا ربطها في سبيل الله فإنها إذا شربت وهو لا يريد سقيها أثيب على ذلك كما في صحيح البخاري، وكذلك الزوجة وكذلك إغلاق الباب وإطفاء المصباح عند النوم إذا قصد به امتثال أمر الله أثيب وإن قصد أمراً آخر فلا.

نقول كل الأعمال يتوقف الثواب فيها على نية التقرب لإطعام الدابة إن قصد بإطعامها امتثال أمر الله تعالى فإنه يثاب وإن قصد بإطعامها حفظ المال (الدابة) فلا ثواب. وكذلك الزوجة وكذلك إغلاق الباب وإطفاء المصباح عند النوم إذا قصد به امتثال أمر الله أثيب وإن قصد به أمراً آخر فلا ثواب. ويستثنى من ذلك فرس المجاهد إذا ربطها في سبيل الله فإنها إذا شربت وهو لم ينو سقيها أثيب على ذلك كما في صحيح البخاري ومسلم ولفظه "...ولو أنها مرة بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له..."

واعلم أن النية لغة: القصد، يقال نواك الله بخير: أي قصدك به. والنية شرعاً: قصد الشيء مقترناً بفعله، فإن قصد وتراخى عنه فهو عزم.

- النية من الجانب الفقهي: قصد الشيء مقترناً بالفعل، أي معه في نفس الوقت أو قبله بفترة قصيرة
- الفرق بين الإرادة والعزم والنية:

- الإرادة: هي الرغبة في فعل الشيء سواء قصد فعل الشيء أم لا
- العزم: هو أن يرغب في الشيء ويقصد فعله قبل مجيء وقته

## الحديث الأول - الأربعين النووية

■ النية: هي أن يرغب في الشيء ويقصد فعله مع أول العمل أو قبلة بفترة قصيرة

وشرعت النية لتمييز العادة من العبادة أو لتمييز رتب العبادة بعضها عن بعض، مثال الأول: الجلوس في المسجد قد يقصد للاستراحة في العادة، وقد يقصد للعبادة بنية الاعتكاف، فالمميز بين العبادة والعادة هو النية، وكذلك الغسل: يقصد به تنظيف البدن في العادة، وقد يقصد به العبادة فالمميز هو النية وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ حين سئل عن الرجل يقاتل رياءاً ويقاتل حميةً ويقاتل شجاعةً، أي ذلك في سبيل الله تعالى؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى» ومثال الثاني وهو المميز رتب العبادة، كمن صلى أربع ركعات قد يقصد إيقاعها عن صلاة الظهر، وقد يقصد إيقاعها عن السنن فالمميز هو النية، وكذلك العتق قد يقصد به الكفارة وقد يقصد به غيرها كالنذر ونحوه، فالمميز هو النية.

فإنما لكل امرئ ما نوى أي أن للمرء ما نوى من جهة الأجزاء، وأفادت هذه الجملة:

- التمييز بين رتب العبادات بعضها البعض، ومثال ذلك إذا دخل أحد الناس المسجد وصلى ركعتين، فإنه إن نوى بهما تحية المسجد كتب له أداء تحية المسجد وإن نوى بهما سنة الظهر كتب له أداء سنة الظهر وإن نوى بهما تحية المسجد وسنة الظهر كتب له أداء تحية المسجد وسنة الظهر.
- التمييز بين العبادات والعبادات: ومثال ذلك إذا أكل أحد الناس طعاماً بنية التقوي على العبادة أثيب، ولو أكل الطعام لمجرد الشهوة والاستمتاع بالأكل فهذا لا يثاب.

وفي قوله ﷺ: «وإنما لكل امرئ ما نوى» دليل على أنه لا تجوز النيابة في العبادات

مثال: أن يقول أحد الناس لآخر أنا مشغول فأكلفك بأن تنوب عني وتصل لي الظهر، فهذا لا يجوز.

ولا التوكيل من نفس النية

- مثال: أن يقول أحد الناس لآخر أنوى لي كذا وكذا (في العبادات) أما المعاملات فيجوز فيها النيابة والتوكيل.
- يوجد فرق بين النيابة والتوكيل فالنيابة قد تكون بلا توكيل. مثال: أحد الناس عليه دين فجاء المطالب بحقه فأعطاه صديق المدين (الأصل) حقه، فلو أعطاه بدون أن يوكله المدين فهو قد ناب عن المدين بدون أن يوكله المدين وهذا يصح، ولو ناب عن المدين لأن المدين وكله فهذه نيابة بتوكيل وهذا يصح أيضاً.
- التوكيل: أن أقول نب عني أو أنت وكيل عني...

وقد استثنى من ذلك تفرقة الزكاة وذبح الأضحية، فيجوز التوكيل فيهما في النية والذبح، والتفرقة مع القدرة على النية.

تفرقة الزكاة: تجوز فيها التوكيل والنيابة كأن يعطى أحد الناس أموالاً لآخر ويقول له نب عني في تفرقة الزكاة والتوكيل في النية أيضاً كأن يعطيه ألفاً ويقول له 500 بنية الزكاة ومائة لشراء زكاة الفطر و400 بنية دين على فلان.

ذبح الأضحية: يجوز ليها التوكيل والتوكيل بالنية، فيجوز أن يوكل أحد الناس أن يذبح لك ذبيحتين وتقول له هذه بنية الأضحية وهذه بنية العقيقة ويجوز لك أن توكله في توزيعها وأن تقول له وزع لفلان وفلان...

وفي الحج: لا يجوز ذلك مع القدرة

- يجوز التوكيل للعاجز فيجوز أن تحج بالنيابة عن والدتك إن كانت عاجزة أو كانت ماتت ولم تحج.

## الحديث الأول - الأربعين النووية

- هناك من يعجز عن النية كالطفل الصغير فيجوز أن يحج معك وتنوى له ولكن لا تسقط عنه الفريضة بذلك إنما عليه حجة الإسلام بعد البلوغ.

ودفع الدين ، أما إذا كان على جهة واحدة لم يحتج إلى نية ..

أي لو كان عليه دين (كله من نوع واحد) فدفعت له لصاحبه حتى لو لم تنو فقد سقط عنك الطلب ولا يشترط أن تعطيه له مرة أخرى.

وإن كان على جهتين كمن عليه ألفان بأحدهما رهن فأدى ألفاً قال جعلته عن ألف الرهن ، صدق

مثال: لو كان أحد الناس عليه ألفان ألف اقترضه برهن وألف اقترضه بدون رهن فلو رد ألفاً للدائن ونوى أن هذا الألف عن الألف الذي هو رهن صححت نيته.

فإن لم ينو شيئاً حالة الدفع ، ثم نوى بعد ذلك ، وجعله عما شاء

مثال: لو كان أحد عليه ألفان ألف دين وألف رهن فلو رد لصاحبه ولم ينو شيئاً حالة الدفع جاز له أن ينوى بعد ذلك أن هذه الألف ألف الرهن أو ألف الدين.

وليس لنا نية تتأخر عن العمل وتصح إلا هنا .

- هذا عند الشافعية وعند بعض العلماء تصلح بعض حالات أخر أن تتأخر فيها النية عن العمل.

مثال: لو أن رجلاً عليه دين على جهتين كأن تكون إحداها رهن والأخرى دين فعند الدفع ينوى عن أحدهما بأنها الرهن مثلاً فإن لم ينو حال الدفع ينوى ولو بعدها.

- إذن: هناك أشياء تجوز فيها النيابة بلا توكيل مثل: رد الدين (فقد أنوى رد الدين عن أخي ولو بدون توكيل منه).

وهناك أشياء تجوز فيها النيابة لكن بتوكيل مثل: الحج وذبح الأضحية والزكاة.

هناك أشياء لا يجوز فيها النيابة ولو بتوكيل مثل: (الصلاة).

- مسألة التلغظ بالنية: قصد الشيء يكون بالقلب وليس باللسان فلا يتلغظ الإنسان بالنية - وهو من الأمور المبتدعة ومن جعلها مستحبة من الشافعية انخدعوا بقول الإمام الشافعي رحمه الله أن دخول الصلاة باللسان (لا يدخل فيها إلا بذكر) وهو يقصد التكبير (الله أكبر) وليس قول نويت أن أصلي...، فالاعتكاف مثلاً ينويه الإنسان بقلبه فقط أما الصلاة فلا يتعقد الدخول فيها إلا بمصاحبة التكبير لنية القلب الدخول في الصلاة.

ولا يوجد ما يستحب التلغظ بالنية فيه باللسان إلا ما هو ثابت عن النبي ﷺ في الحج والعمرة عند دخول النسك (نويت الحج وأحرمت بها لله تعالى) والتلبية (لبيك اللهم حجاً).

قوله ﷺ: « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ». أصل المهاجرة المجافاة والترك

المهجرة:

أ - في اللغة: المجافاة والترك (والمجافاة ضد الالتصاق والاتصال).

إلا أن أصل الكلمات في اللغة غير معناها في الشرع فقد جاء الشرع واستخدم بعض الكلمات في غير استخداماتها عند العرب.

## الحديث الأول - الأربعين النووية

فمثلاً: الصلاة لغة الدعاء.

واستخدمها الشرع بمعاني:

- أفعال تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم.
- الثناء من الله ﷻ والملائكة على النبي ﷺ والمؤمنين في الملأ الأعلى. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ ، فمعنى الآية لغة: أن الله وملائكته يدعون على النبي وهذا غير صحيح ولا يستقيم، فالصلاة هنا بمعناها الشرعي "الثناء".

ب - في الإسلام: اسم الهجرة يقع على أمور بعد الإسلام:

فاسم الهجرة يقع على رموز :

[إطلاقات اسم الهجرة في الشرع]

الأولى : هجرة الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى الحبشة حين آذى المشركون رسول الله ﷺ، ففروا منه إلى النجاشي، وكانت هذه بعد البعثة بخمس سنين، قاله البيهقي .

الهجرة الثانية : من مكة إلى المدينة وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة، وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأطلق جماعة أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة، وهذا ليس على إطلاقه فإنه لا خصوصية للمدينة، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله ﷺ

والدليل على هذا أنه بعد صالح الحديبية أمر النبي ﷺ المسلمين في مكة بعدم الهجرة ولم تعد الهجرة واجبة إلى حيث رسول الله ﷺ فقد كان من أواخر من هاجر إلى المدينة. وإنما الواجب على كل مسلم في كل حين أن يهاجر إلى حيث يأمره الله ورسوله ﷺ ولا خصوصية للمدينة إلا حين يكون الأمر من الرسول ﷺ حيث قال أنها خير بقاع الأرض بعد مكة.

الثالثة: هجرة القبائل إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا الشرائع ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم .

الرابعة : هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي النبي ﷺ ثم يرجع إلى قومه .

الخامسة : الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر، قال الماوردي : فإن صار له بها أهل وعشيرة، وأمكنة إظهار دينه لم يجز له أن يهاجر، لأن المكان الذي هو فيه قد صار دار إسلام .

السادسة : هجرة المسلم أخاه فوق ثلاثة، بغير سبب شرعي، وهي مكروهة في الثلاثة، وفيها زاد حرام إلا للضرورة، وحي أن رجلاً هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فكتب إليه هذه الأبيات :

يا سيدي عندي لك مظلمة فاستفت فيها ابن أبي خيثمة

فإنه يروى لنا عن جده ما قد روى الضحاك عن عكرمة

عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمة

أن صدود الإلف عن إلفه فوق ثلاث ربنا حرمه

## الحديث الأول - الأربعة النوية

- قال ﷺ: «لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».
- الهجر قبل اليوم الثالث مباح، الهجر في اليوم الثالث مكروه، الهجر بعد اليوم الثالث حرام إلا بسبب شرعي كأن يهجره ليزجره عن معصيته. ومثال هذا النوع من الهجرة: قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الآيات، فقد هجر النبي ﷺ والصحابه سيدنا كعب بن مالك وهلال بن أمية وابن ربيعة بعد تخلفهم عن غزوة تبوك.

السابعة: هجرة الزوج الزوجة إذا تحقق نشوزها قال تعالى ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: 34]. ومن ذلك هجرة أهل المعاصي في المكان، والكلام، وجواب السلام وابتدائه.

جواب السلام واجب

الثامنة: هجرة ما نهى الله عنه، وهي أعم الهجرة.

[ذكر أنواع الهجرة]

قال ابن العربي: قسم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض هرباً وطلباً، فالأول ينقسم إلى ستة أقسام [والثاني إلى قسمين]:  
[أنواع الهجرة هرباً]

(الأول): الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وهي باقية إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح في قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» هي القصد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان.

قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» والمقصود هنا الهجرة الثانية فهو نفى الوجوب وليس نفى الاستحباب (فلم تعد واجبة) ولكنها مستحبة.

(الثاني): الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف.

فالبدعة من أعظم الأشياء جرماً وأهلها من أسوأ المسلمين (إن كانوا مسلمين)، ومن البدع سب السلف (مثل الشيعة) والمقصود بالسلف الصحابة ومن تبعهم من التابعين وتابعي التابعين (الثلاثة قرون الأولى).

(الثالث): الخروج من أرض يغلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم.

(الرابع): الفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه في مكان فقد أذن الله تعالى له في الخروج عنه، والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام حيث خاف من قومه فقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [التكوير: 26]. وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: 21].

(الخامس): الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة، إلى الأرض النزهة، وقد أذن ﷺ للعربيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج.

(السادس): الخروج خوفاً من الأذية في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

[أنواع الهجرة طلباً]

وأما قسم الطلب، فإنه ينقسم إلى عشرة: طلب دين وطلب دنيا، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع:



## الحديث الأول - الأربعين النووية

(الأول) سفر العبرة قال الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: ٢٩]. وقد طاف ذو القرنين في الدنيا ليرى عجائبها.

ولكن لا يضيع الإنسان عمره في هذا وعليه أن يكون قاصداً لله عز وجل لا للمتعة.

(الثاني) : سفر الحج .

(الثالث) : سفر الجهاد.

(الرابع) : سفر المعاش.

فمثلاً بلد مليئة بنوع معين من التجارة التي لا يعرف الرجل سواها يمكن أن يطلب الكسب في بلد آخر.

(الخامس) : سفر التجارة والكسب الزائد على القوت ، وهو جائز لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٩٨].

وقال تعالى أيضاً ﴿إِلَّا فِهُم رَحِلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ على ألا تكون إلى بلاد كفر إلا للضرورة.

(السادس) : طلب العلم .

(السابع) : قصد البقاع الشريفة ، قال ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ».

(الثامن) : قصد الثغور للرباط بها .

قال ﷺ : « عينا لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله ».

(التاسع) : زيارة الإخوان في الله تعالى ، قال ﷺ : « زار رجل أخاً له في قرية ، فأرسل الله ملكاً على مدرجته . فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة تؤذيها قال : لا ، إلا أنني أحبه في الله تعالى قال : فإني رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته » . رواه مسلم . وغيره .

وقال ﷺ فيها يرويه عن ربه ﷻ : « حقت محبتي للمتحابين فيّ ، وحقت محبتي للمتجالسين فيّ ، وحقت محبتي للمتأزورين فيّ وحقت محبتي للمتباذلين فيّ » [صحيح]

قوله ﷺ : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله » : أي نية وقصداً فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً.

— « من كانت هجرته إلى الله ورسوله » : أي نية وقصداً (فهنا محذوف تعبره قاصداً).

— « هجرته لله ورسوله » : أي إلى حيث أمر الله ورسوله.

— « فهجرته إلى الله ورسوله » : أي ثواباً وحكماً.

[طلب الدنيا]

« ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها .. الخ » نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس ، فسمي مهاجر أم قيس .

## الحديث الأول - الأربعين النووية

[مسألة] فإن قيل النكاح من مطلوبات الشرع فلم كان من مطلوبات الدنيا؟ قيل في الجواب : إنه لم يخرج في الظاهر لها [أي الدنيا] ، وإنما خرج في الظاهر للهجرة ، فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم ، وقس بذلك من خرج في الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة وكذلك الخروج لطلب العلم إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية .

قوله ﷺ : « فهجرته إلى ما هاجر إليه »

لم يقل ( فهجرته إلى دنيا يصيبها أو .. ) وهذا لأن شأن الدنيا لا يستحق الذكر فهو ضئيل وحقير ، أما الهجرة لله ورسوله فهي أعظم شيء ولهذا كررت في الذكر .

قوله ﷺ : « فهجرته إلى ما هاجر إليه » يقتضي أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة ، وينبغي حمل الحديث على ما إذا كان المحرك الباعث له على الحج إنما هو التجارة ، فإن كان الباعث له الحج فله الثواب ، والتجارة تبع له إلا أنه ناقص الأجر عما أخرج نفسه للحج ، وإن كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب لأن هجرته لم تتمحض للدنيا ، ويحتمل خلافه لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا ، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد ، فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن هذا نلخص:

أحوال العاملين لطلب الدنيا والآخرة:

- 1- من كانت هجرته لله "حجته لله" (الآخرة) فله الثواب.
  - 2- من كانت هجرته للزواج "حجته للتجارة" (الدنيا) فليس له ثواب.
- وهما الحالتان المذكورتان في الحديث بوضوح.
- 3- إن كان الباعث للخروج هو "الهجرة لله أو الحج" (الآخرة)، وكان "الزواج أو التجارة" (دنيا)، وتبع له فله ثواب إلا أنه ناقص الأجر عما أخرج نفسه للحج مجرداً.
  - 4- إن كان الباعث للخروج "الهجرة والزواج معاً" أو "الحج والتجارة معاً"
- أ- يحتمل حصول الثواب (إذ أن النية لم تتمحض للدنيا).
  - ب- يحتمل عدم حصول الثواب (لأنه خلط عمل الدنيا بالآخرة).
- وفي الأحوال الأربعة سقطت عنه الفريضة والخلاف في "القبول" وليس "الصحة"، ولهذا فكل هذا من الناحية السلوكية.



## الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبَنِيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: 8].

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

قوله صلى الله عليه وسلم : أخبرني عن الإيمان : الإيمان في اللغة : هو مطلق التصديق ، وفي الشرع : عبارة عن تصديق خاص ، وهو التصديق بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .  
وأما الإسلام فهو عبارة عن فعل الواجبات ، وهو الانقياد إلى عمل الظاهر .  
وقد غاير الله تعالى بين الإيمان والإسلام كما في الحديث ، قال الله تعالى ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: 14]، وذلك أن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون ، وبقلوبهم ينكرون ، فلما ادَّعوا الإيمان كذبهم الله تعالى في دعواهم الإيمان لإنكارهم بالقلوب ، وصدقهم في دعوى الإسلام لتعاطيهم إياه .

وقال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الباقون: 1]. أي في دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم ، لأن ألسنتهم لم تواطئ قلوبهم ، وشرط الشهادة بالرسالة : أن يواطئ اللسان القلب فلما كذبوا في دعواهم بين الله تعالى كذبهم ، ولما كان الإيمان شرطاً في صحة الإسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين قال الله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات : 35-36] فهذا استثناء متصل لما بين الشروط من الاتصال ولهذا سمي الله تعالى الصلاة : إيماناً قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة : 143]. وقال تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ ﴾ [النورى : 52] أي الصلاة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( وتؤمن بالقدر خيره وشره )) بفتح الدال وسكونها لغتان ، ومذهب أهل الحق : إثبات القدر ، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وفي أمكنة معلومة وهي تقع على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى . واعلم أن التقادير أربعة :

(الأول) التقدير في العلم ولهذا قيل : العناية قبل الولاية ، والسعادة قبل الولادة، واللاحق مبنية على السوابق ، قال الله تعالى ﴿ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ [الذاريات : 9] أي يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به في الدنيا من صرف عنه في القدم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا يهلك الله إلا هالكاً )) أي من كتب في علم الله تعالى أنه هالك .

(الثاني) التقدير في اللوح المحفوظ ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير قال الله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : 39] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول في دعائه : (( اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً )) .

(الثالث) التقدير في الرحم ، وذلك أن الملك يؤمر بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد .

(الرابع) التقدير وهو سوق المقادير إلى المواقيت ، والله تعالى خلق الخير والشر وقدر مجيئه إلى العبد في أوقات معلومة . والدليل على أن الله تعالى خلق الخير والشر قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [الفجر : 47-49] نزلت هذه الآية في القدرية ، يقال لهم ذلك في جهنم، وقال تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق : 1-2]. وهذا القسم إذا حصل اللطف بالعبد صرف عنه قبل أن يصل إليه .

وفي الحديث : (( إن الصدقة وصله الرحم تدفع ميتة السوء وتقلبه سعادة ))، وفي الحديث : (( إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان ، ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل )) .

وزعمت القدرية : أن الله تعالى لم يقدر الأشياء في القدم ، ولا سبق علمه بها ، وأنها مستأنفة ، وأنه تعالى يعلمها بعد وقوعها ، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى جلّ عن أقوالهم الكاذبة وتعالى علواً كبيراً ، وهؤلاء انقرضوا وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة يقولون : الخير من الله والشر من غيره ، تعالى الله عن قولهم ، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( القدرية مجوس هذه الأمة )) . سماهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس ، وزعمت الثنوية أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، كذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره وهو تعالى خالق الخير والشر .

قال إمام الحرمين في كتاب ((الإرشاد)) إن بعض القدرية تقول : لسا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم أخبار القدر ، و رد على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم ، ومن يدعي الشر لنفسه ويضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يضيفه لغيره وينفيه عن نفسه .

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن الإحسان قال : (( الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه )) وهذا مقام المشاهدة لأن من قدر أن يشاهد الملك استحى أن يلتفت إلى غيره في الصلاة وأن يشغل قلبه بغيره ومقام الإحسان مقام الصديقين وقد تقدم في الحديث الأول الإشارة إلى ذلك .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( فإنه يراك )) غافلاً إن غفلت في الصلاة وحدثت النفس فيها .

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن الساعة فقال : (( ما المسؤول عنها بأعلم من السائل )) هذا الجواب على أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم متى الساعة؟ بل علم الساعة مما استأثر الله تعالى به ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:34] . وقال تعالى : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْةٌ ﴾ [الاعراف:187] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:63] .

ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعون ألف سنة وأنه بقي منها ثلاثة وستون ألف سنة فهو قول باطل حكاه الطوخي في ((أسباب التنزيل )) عن بعض المنجمين وأهل الحساب ، ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فهذا يسوف على الغيب ولا يحل اعتقاده .

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن أماراتها قال : (( أن تلد الأمة ربتها )) الأمار والأماراة بإثبات التاء وحذفها لغتان ، وروي ربهما وربتها ، قال الأكثرون هذا إخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده ، وقيل معناه الإماء يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن الشخص يستولد الجارية ولداً ويبيعها فيكبر الولد ويشترى أمه ، وهذا من أشراط الساعة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( وأن ترى الحفاة العراة العالة ، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان )) إذ العالة هم الفقراء ، والعائل الفقير ، والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر . والرعاء بكسر الراء وبالماء ويقال فيه رعاة بضم الراء وزيادة تاء بلا مد معناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة يترقون في البنيان والدنيا تبسط لهم حتى يتباهوا في البنيان .

قوله : (( فلبث مليا )) هو بفتح الثاء على أنه للغائب ، وقيل : فلبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح . وملياً بتشديد الياء معناه وقتاً طويلاً . وفي رواية أبي داود والترمذي أنه قال : بعد ثلاثة أيام . وفي (( شرح التنبيه )) للبخاري أنه قال : بعد ثلاثة فأكثر ، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال . وفي ظاهر هذا مخالفة لقول أبي هريرة في حديثه ، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ردوا على الرجل )) فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : (( رودا على الرجل )) فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : (( هذا جبريل )) فيمكن الجمع بينهما بأن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الحال ، بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال ، وأخبروا عمر بعد ثلاث إذ لم يكن حاضراً عن إخبار الباقيين .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (( هذا جبريل آتاكم يعلمكم أمر دينكم )) ، فيه دليل على أن الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، تسمى كلها ديناً ، وفي الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر واجب ، وعلى ترك الخوض في الأمور ، وعلى وجوب الرضا بالقضاء . دخل رجل على ابن حنبل رحمه الله . فقال : عطني . فقال له : إن كان الله تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الخلف على الله حقاً فالبخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا ؟ وإن كان سؤال منكر ونكير حقاً فالأنس لماذا ؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا ؟

(فائدة) ذكر صاحب (( مقامات العلماء )) أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسمًا : خمسة بالقضاء والقدر ، وخمسة بالاجتهاد ، وخمسة منها بالعادة ، وخمسة بالجواهر ، وخمسة بالورثة . فأما الخمسة التي بالقضاء والقدر : فالرزق ، والولد ، والأهل ، والسلطان ، والعمر . والخمسة التي بالاجتهاد : فالجنة ، والنار ، والعفة ، والفروسية ، والكتابة . والخمسة التي بالعادة : فالأكل ، والنوم ، والمشى ، والنكاح ، والتغوط . والخمسة التي بالجواهر : فالزهد ، والزكاة ، والبذل ، والجمال ، والهيبة . والخمسة التي بالورثة : فالخير ، والتواصل ، والسخاء والصدق ، والأمانة . وهذا كله لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم (( كل شيء بقضاء وقدر )) . وإنما معناه : أن بعض هذه الأشياء يكون مرتباً على سبب ، وبعضها يكون بغير سبب ، والجميع بقضاء وقدر .

الشرح:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ.

- (جلوس): مصدر أطلق على الجمع أي "جالسون".
- قول سيدنا عمر في بداية الحديث ووصفه لهذا الرجل على سبيل التعجب وكأنه يقول من أين أتى هذا الرجل الذي لا يعرفه منهم أحد وهو ليس بمسافر لأنه لا يرى عليه أثر السفر فهو شديد بياض الثياب وشديد سواد الشعر عكس هيئة المسافر الذي يكون "أشعث أغبر".

حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي ...

- جلس إلى النبي ﷺ : أي جلس قبله أو أمامه
- أسند ركبتيه إلى ركبتيه: تحتل معيان:
- الهاء الأولى: عائدة على سيدنا جبريل، الهاء الثانية: عائدة على النبي ﷺ ، فيكون المعنى: أن سيدنا جبريل جلس أمام النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ.
- وضع كفيه على فخذه: تحتل معيان:
- الهاء: عائدة على سيدنا جبريل ﷺ في الأولى والثانية، فيكون المعنى أن سيدنا جبريل وضع كفيه على فخذه هو وليس فخذي النبي ﷺ.
- أو قد يكون معناها أنه وضع كفيه على فخذي النبي ﷺ -وهذا ليس بمنكر-
- فائدة: هذه الجلسة التي جلسها سيدنا جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ هي جلسة المتعلم المتأدب مع معلمه مع أن سيدنا جبريل هو سيد الملائكة ولكن جاء ليعلم المسلمين دينهم وأيضاً التأدب مع معلمهم.
- وقال يا محمد أخبرني: هنا تعجب الصحابة من أمر هذا الرجل يجلس بهذا التأدب مع النبي ﷺ ثم يخاطبه باسمه مجرداً ولا يقول "يا رسول الله".

وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ . فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ! قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

- كان سيدنا جبريل يسأل النبي عن الأمر ثم يقول له "صدقت"، فتعجب الصحابة لذلك كيف يسأله عن الشيء ثم يصدقه كالذي يعرفه مسبقاً فلم يسأل إن كان يعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم : أخبرني عن الإيمان : الإيمان في اللغة : هو مطلق التصديق ، وفي الشرع : عبارة عن تصديق خاص ، وهو التصديق بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسوله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره . وأما الإسلام فهو عبارة عن فعل الواجبات، وهو الانقياد إلى عمل الظاهر .

- أى كلمة لها معانٍ:

لغوى: في لغة العرب.

شرعي: يمكن أن يخالف معنى اللغة ويكون خاصاً مثل الصلاة.

عرفي: وهو ما تعارف عليه الناس في زمن من الأزمنة.

كالصلاة: الصلاة: لغة: الدعاء، شرعاً: هو فعل حركات مخصوصة.

— معنى الإسلام: شرعاً: هو فعل الواجبات والالتقياد للعمل الظاهر، أي الأعمال الظاهرة وهي عمل الجوارح

— معنى الإيمان: لغة: مطلق التصديق وقيل التصديق مع الإقرار. قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف:17]

— معنى الإيمان شرعاً: التصديق بأمور مخصوصة وهي ما ورد في الحديث (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره).

— ولهذا قيل أن الأصل في المسلم الصدق، فإن علم عنه الكذب لا يجوز تصديقه أو الأخذ بشهادته

— الإيمان يلزمه شيء من العمل

وقد غاير الله تعالى بين الإيمان والإسلام كما في الحديث ، قال الله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:14]، وذلك أن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون ، وبقلوبهم ينكرون، فلما ادَّعوا الإيمان كذَّبهم الله تعالى في دعواهم الإيمان لإنكارهم بالقلوب، وصدقهم في دعوى الإسلام لتعاطيهم إياه .

— كلمتي الإسلام والإيمان: هما من الكلمات التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، أي أنهما إذا اجتمعت في النصوص تفرق معنى كل واحدة منهما إلى معناها الخاص بها وإذا افترقت—أي لم يجتمعا في نص واحد— اجتمع في كل واحدة منهما معناها بجانب معنى الأخرى .

— فالإسلام والإيمان إذا افترقا فيراد بهما الدين كله أي عموم الملة، فقد يذكر البعض ويراد به الكل كقول الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقول النبي ﷺ (الحج عرفة)، وإذا اجتمعا فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة من أعمال الجوارح ويقصد بالإيمان الأعمال الباطنة من أعمال القلوب



وقال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الباقون: 1]. أي في دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم ، لأن ألسنتهم لم تواطىء قلوبهم ، وشرط الشهادة بالرسالة : أن يواطىء اللسان القلب فلما كذبوا في دعواهم بين الله تعالى كذبهم...

— الشهادة: هو إخبار باللسان عما يصدق القلب أي يواطىء فيه اللسان القلب.

— التصديق: يكون إما:

1. عن إدراك بالحواس "كالرؤية بالبصر".

2. عن إخبار ممن لا يحتمل في كلامه الكذب أو الخطأ، فالإخبار عن الله ورسوله إخبار عمن لا

يحتمل في كلامه كذب ولا خطأ، بل إن الحواس البشرية هي التي يمكن أن تخطئ.

— التواطؤ: لغة: التوافق وتشمل التوافق في الخير والشر، عرفاً: الكيد الخفي وهذا في اصطلاح الناس.

— يواطىء اللسان القلب: فيخير اللسان عما يصدق القلب

ولما كان الإيمان شرطاً في صحة الإسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين قال الله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات : 35-36] فهذا استثناء متصل لما بين الشرط والمشروط من الاتصال ولهذا سمى الله تعالى الصلاة : إيماناً قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة : 143]. وقال تعالى: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ ﴾ [الشورى : 52] أي الصلاة .

— الشرط: ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، وهذا تعريف فقهي

والتعريف العقدي فيه تفصيل

— والإيمان شرط في صحة الإسلام: فلا يكون الإسلام إسلاماً على الحقيقة إلا إذا وجد الإيمان في القلب

ولذلك غاير الله سبحانه وتعالى وفرق بين الإسلام والإيمان في الحديث وأيضاً في الآية: "قالت

الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا..." لأن ما في قلوبهم لم يوافق فعلهم الظاهر.

— ولما كان الإيمان شرطاً في صحة الإسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين قال الله تعالى: ﴿

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات : 35-36] فهذا استثناء متصل لما بين الشرط والمشروط من الاتصال: الاستثناء: متصل كقولنا:

نزلت الحي فما وجدت فيه رجال إلا سعد، وغير متصل-منفصل- كقولنا: نزلت الحي فما وجدت

فيه رجال إلا كلاب

— الشرط والمشروط: أي المستثنى والمستثنى منه

قوله صلى الله عليه وسلم : (( وتؤمن بالقدر خيره وشره )) بفتح الدال وسكونها لغتان ، ومذهب أهل الحق : إثبات القدر ، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وفي أمكنة معلومة وهي تقع على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى .

— لغتان: (القَدْر) بسكون الدال أو (القَدَر) بفتح الدال.

— القدر لغة: قدر الأمر: دبره وفكر في تسويته

— معنى القدر اصطلاحاً: أن الله قدر الأشياء في القدم وحدد لها أوقات وأمكنة معلومة، والقدر يعني أيضاً: القضاء الذي يقضى به الله على عباده.

— أما القضاء فهي كلمة مرادفة للحكم ومساوية للقدر، فالقدر هو حكم الله على عباده.

— من المعلوم أن الحكم يمكن تغييره في القوانين الوضعية للبشر، فيكون ذلك بالاستئناف والنقض وغيرها من وسائل تغيير الحكم ودفع العقوبة، وكذلك حكم الله وقدره وقضائه يمكن تغييرهم، وسيأتي تفصيل هذا في سياق الكلام.

#### [أنواع القدر ودواوينه]

واعلم أن التقادير أربعة :

(الأول) التقدير في العلم ولهذا قيل : العناية قبل الولاية ، والسعادة قبل الولادة، والواحق مبنية على السوابق ، قال الله تعالى ﴿ يُوَفِّقُكَ عَنْهُ مَنْ أُفِّلَكَ ﴾ [الذاريات: 9] أي يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به في الدنيا من صرف عنه في القدم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا يهلك الله إلا هالكاً )) أي من كتب في علم الله تعالى أنه هالك .

— وهذا الديوان الأول وهو ديوان العلم: وفيه كتابة الغيب (وهو لا يتغير) فالله ﷻ هو خالق كل شيء، و فقد علم سبحانه أحوال خلقه قبل أن يخلقهم، ودَوَّنَ عنده ما سيحدث قبل حدوثه، فهو مكتوب عنده في ديوان لا يتغير فهو تعالى يعلم ما سيحدث قبل أن يحدث

— ومثال ذلك أن يعطي الأب لابنيه مالاً، ثم هو يعرف بعلمه أن أحدهم سيستخدم المال في شراء ما يضره والآخر سيستخدمه في شراء ما ينفعه، لكن الله تعالى المثل الأعلى فله تعالى كمال العلم. وهذا الأب عندما يعطي المال لولديه هو لم يجبرهم على فعل خير أو فعل شر لكن علمه بهذا وذاك جعله يعرف أن هذا ينفق المال في الخير والآخر ينفقه في الشر وكذلك [قدر الله علمي لا جبري]، فالإنسان مخير غير مسير فهو ليس بمجبر على فعل الخير أو فعل الشر، لكنه أمر شرعاً بفعل الخير

— إذن فقد كتب الله تعالى أن فلاناً يفعل كذا وكذا ولم يكتب على فلان كذا أو كذا، ومع هذا لا يفعل الإنسان العمل جبراً على الله، فهو مخير لكن لا يفعل شيئاً جبراً على الله فلا يقع في كون الله تعالى إلا ما قدر وشاء

- ومع أن الإنسان مأمور شرعاً بفعل الخير وهو مخير في فعله أو تركه فإنه يجبر في أشياء مثل من يمرض مثلاً فهذا لا يحاسب على ترك الجهاد مثلاً
- قوله ﷺ : (( لا يهلك الله إلا هالكا )) أي من كتب في علم الله تعالى أنه هالك: أي من كتب في علم الله تعالى أنه يختار لنفسه الهلكة
- الولاية: الولاية نوعان:

1. ولاية للمؤمنين: فلهم نصرة وحفظ من الله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: 1] وقول النبي ﷺ عن الله ﷻ (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) رواه البخاري
  2. ولاية خاصة بالعلماء العاملين الأتقياء المخلصين، قال تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس]
- وقال الإمام أبو حنيفة (إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي)

(الثاني) التقدير في اللوح المحفوظ ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير قال الله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: 39] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول في دعائه : (( اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً )) .

- ويسمى ديوان الأحكام القضائية
- يقصد بالحكم القضائي أن الله تعالى حكم أن عبداً ما يستحق عقوبة ما نظير جرم ارتكبه في الدنيا، وفي القانون الوضعي لأحكام الدنيا تصبح العقوبة نافذة بنفاذ وسائل دفع العقوبة كالاستئناف والنقض، وفي القانون الإلهي العقوبة معلقة على التوبة، وفوات الحياة بلا توبة يوجب توقيع العقوبة وهذا لحديث رسول الله ﷺ (يقبل الله توبة العبد ما لم يغرغر) أي ما لم يفارق الحياة
- والله تعالى جعل للعباد كثيراً من الوسائل لتغيير هذا الحكم القضائي الإلهي أو العقوبة فيمكن ردها أو تغييرها بالوسائل التالية<sup>(1)</sup>:

1. الدعاء والاستغفار يكفران السيئات ويردان القضاء ويفرجان الهموم مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ: "من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً ومن ضيق مخرجاً وورقه من حيث لا يحتسب" كما أخبرنا ﷺ أن الدعاء والقضاء يعتلجان ويتصارعان فأيهما غلب نفذ.
2. الطاعات والأعمال الصالحة: ومثال هذا قول النبي ﷺ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَبَّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> قال بعض أهل العلم أن التقدير في العلم هو التقدير في اللوح المحفوظ وهو التقدير الذي لا يتغير، وهناك لوح آخر هو للأحكام القضائية التي تتغير ولكن هذا خلاف لا ينبغي عليه عمل

<sup>2</sup> متفق عليه، ومعنى « ينسأ له في أثره » : أي : يؤخر له في أجله وعمره .

3. التوبة والإنابة والندم على ما وقع من الذنوب والمعاصي والعزم الصادق على عدم الرجوع

للإثم فهو من أسباب مغفرة الذنوب وطالما حثنا الله في كتابه على التوبة والإنابة وبين لنا أثر

ذلك ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ

حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:70]

4. إقامة الحدود: مثل حد السرقة والزنى والقتل، فهي تكفر الذنوب وتغفر الخطايا، مثل حديث

ماعر رضي الله عنه

5. الكفارات: مع الاستغفار والتوبة، ومع ذلك لا يجوز أن تنوى اتیان الذنب ثم تقول: سوف

أكفر عن ذنبي هذا فيما بعد، ومثال ذلك كأن تذهب للحج وتقول سوف أحلق رأسى

"بدون عذر" ثم أكفر بنسك (ذبح شاة) فهذا يبطل حجك كله لأنك حلقت بغير عذر

متحججاً بأنك سوف تُكفر، مع إن هذه الكفارة ليست إلا لذوى الأعدار ﴿فَمَنْ كَانَ

مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِمْ أَذًى مِنْ رَأْسِهِمْ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:195]

6. المصائب: قال رسول الله ﷺ «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا

أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»<sup>(1)</sup> ولكن بشرط الصبر

على المصيبة والبلاء وعدم الجزع مما أصابه

7. الصدقات: قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه (الْصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ)<sup>(2)</sup>

8. الشفاعة في الآخرة

9. العفو عن الناس: قال تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولَئِ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى

الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ

يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التور:1]

10. كظم الغيظ: وهو أقل من العفو عن الناس

11. عفو الله تعالى من غير سبب: قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ

حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:40]

(الثالث) التقدير في الرحم ، وذلك أن الملك يؤمر بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد .

— وهو كتابة الملك لما هو معلوم في ديوان العلم، وتفصيل هذا في الحديث الرابع

<sup>1</sup> متفق عليه، والوصب: المرض  
<sup>2</sup> حسن صحيح

(الرابع) التقدير وهو سوق المقادير إلى المواقيت ، والله تعالى خلق الخير والشر وقدر مجيئه إلى العبد في أوقات معلومة . و الدليل على أن الله تعالى خلق الخير والشر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ] ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [الفر 47-49] نزلت هذه الآية في القدرية ، يقال لهم ذلك في جهنم، وقال تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ من شرِّ مَا خَلَقَ ﴿ [الفرق 1-2] . وهذا القسم إذا حصل اللطف بالعبد صرف عنه قبل أن يصل إليه . وفي الحديث : (( إن الصدقة وصلة الرحم تدفع ميتة السوء وتقلبه سعادة ))، وفي الحديث : (( إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان ، ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل )) .

لكن كيف نقول أن الله تعالى خلق الخير والشر ونحن نقول في الدعاء (الخير كله بيديك والشر ليس إليك)؟  
فجواب ذلك من وجوه:

فمثلاً إقامة الحد على إنسان، فإنه يكون شرّاً له لأنه يؤلمه أو لأنه يفوت عليه عضواً من أعضائه أو لأنه يفوت عليه نفسه كأن يكون الحد جلداً فإنه يؤلمه وإذا كان الحد قطعاً فإنه سيفوت عليه يده مثلاً وإذا كان الحد قتلاً فإنه سيفوت عليه نفسه، فهو من هذه الجهة شر بالنسبة للمحدود أي الذي يقام عليه الحد، لكنه خير بالنسبة إلى جهات أخرى، فهو خير بالنسبة لمن له هذا الحق وهو أيضاً خير بالنسبة للمجتمع الذي يتضرر بتفشي المنكرات أو الأمور التي يترتب عليها الحدود كما أنه خير بالنسبة إلى إقامة العدل بين الناس فهذا كله من الخير، قال تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 179] وعليه فإن الشر لا يضاف إلى الله تعالى بحال، ولهذا كانت التلبية-في إحدى الصيغ الواردة-ليتك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، ليك ذا النعماء ليك ذا الخواطر .... إلى قوله: ليك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك، يعني: لا ينسب الشر إلى الله تعالى بحال لأن كل قدر الله تعالى على التحقيق خير، لكنه إذا أضيف لبعض الناس كان فيها بعض الشر لبعض الخلق أما على وجه العموم فقد قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: 11] أي فيما يقدره الله تعالى على العبد من الأمور التي قد لا يرضاها ولا يحبها فلا يحسن أنها شر كلها، بل يمكن أن يكون فيها ما يكون خيراً بالنسبة لغيره أو بالنسبة للناس جميعاً أو بالنسبة لحكمه الله تعالى وقدره.

فأقدار الله ﷻ المؤلمة هي للمؤمنين اختبار لهم وتمحيص وتكفير لسيئاتهم وإعلاء لدرجاتهم قال تعالى ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: 141]

ومثال آخر: تعذيب الكافر في الآخرة فإن كان شراً له لكنه خير في الجملة قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاتَّقُونَ﴾ [الرعد: 16] وهذا الشر هو العدل من الله قال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 35]، ومع هذا فالله تعالى رحيم بالمسرفين قال تعالى ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزمر: 5]

وزعمت القدرية : أن الله تعالى لم يقدر الأشياء في القدم ، ولا سبق علمه بها ، وأنها مستأنفة ، وأنه تعالى يعلمها بعد وقوعها ، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى جلّ عن أقوالهم الكاذبة وتعالى علواً كبيراً ، وهؤلاء انقرضوا وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة يقولون : الخير من الله والشر من غيره ، تعالى الله عن قولهم ، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( القدرية يحوس هذه الأمة )) . سماهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس ، وزعمت الثنوية أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، كذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره وهو تعالى خالق الخير والشر .

قال إمام الحرمين في كتاب ((الإرشاد)) إن بعض القدرية تقول : لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم أخبار القدر، و رد على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم ، ومن يدعي الشر لنفسه ويضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يضيفه لغيره وينفيه عن نفسه .

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن الإحسان قال : (( الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه )) وهذا مقام المشاهدة لأن من قدر أن يشاهد الملك استحي أن يلتفت إلى غيره في الصلاة وأن يشغل قلبه بغيره ومقام الإحسان مقام الصديقين وقد تقدم في الحديث الأول الإشارة إلى ذلك .

- فمن وقف أمام ملك من ملوك الدنيا ثم هو يحدث الملك وهو يلعب ويلهو فما ظنك بهذا أليس حقه الطرد والإبعاد، فهذا حال أحد الملوك فكيف بملك الملوك
- فمن يعمل وكأنه يرى الله في كل أحواله يستوي ظاهره مع باطنه وسره مع علانيته فهو يعامل الله وحده والناس عنده كما الأموات

قوله صلى الله عليه وسلم : ((فإنه يراك )) غافلاً إن غفلت في الصلاة وحدثت النفس فيها.

وكذا يراك في كل أحوالك

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن الساعة فقال : (( ما المسؤول عنها بأعلم من السائل )) هذا الجواب على أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم متى الساعة؟ بل علم الساعة مما استأثر الله تعالى به ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]. وقال تعالى : ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ﴾ [الإعراف: 187]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: 63].

ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعون ألف سنة وأنه بقي منها ثلاثة وستون ألف سنة فهو قول باطل حكاه الطوخي في ((أسباب التنزيل)) عن بعض المنجمين وأهل الحساب ، ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فهذا يسوف على الغيب ولا يحل اعتقاده.

وخبر الساعة من السمعيات التي هي الأمور الغيبية التي نسمع بها ويجب تصديقها ولا تدرك بعقل أو حواس

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن أماراتها قال : (( أن تلد الأمة ربتها )) الأمار والأماراة بإثبات التاء وحذفها لغتان ، وروي ربهما وربتها ، قال الأكثرون هذا إخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده ، وقيل معناه الإماء يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن الشخص يستولد الجارية ولداً ويبيعها فيكبر الولد ويشترى أمه ، وهذا من أشراط الساعة.

السرية: الأمة التي يتزوجها سيدها

قوله صلى الله عليه وسلم : (( وأن ترى الحفاة العراة العالة ، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان )) إذ العالة هم الفقراء ، والعائل الفقير ، والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر . والرعاء بكسر الراء وبالماء ويقال فيه رعاة بضم الراء وزيادة تاء بلا مد معناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة يترقون في البنيان والدنيا تبسط لهم حتى يتباهوا في البنيان .

قوله : (( فلبث مليا )) هو بفتح التاء على أنه للغائب ، وقيل : فلبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح . وملياً بتشديد الياء معناه وقتاً طويلاً. وفي رواية أبي داود والترمذي أنه قال : بعد ثلاثة أيام . وفي (( شرح التنبيه )) للبخاري أنه قال : بعد ثلاثة فأكثر ، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال . وفي ظاهر هذا مخالفة لقول أبي هريرة في حديثه ، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ردوا على الرجل )) فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : (( ردوا على الرجل )) فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : (( هذا جبريل )) فيمكن الجمع بينهما بأن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحال ، بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال ، وأخبروا عمر بعد ثلاث إذ لم يكن حاضراً عن إخبار الباقيين .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (( هذا جبريل آتاكم يعلمكم أمر دينكم )) ، فيه دليل على أن الإيمان، و الإسلام ، و الإحسان ، تسمى كلها ديناً ، وفي الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر واجب ، وعلى ترك الخوض في الأمور ، وعلى وجوب الرضا بالقضاء .

— قال رسول الله ﷺ «عَجَبًا لَأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ : إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »

دخل رجل على ابن حنبل رحمه الله . فقال : عطني . فقال له : إن كان الله تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الخلف على الله حقاً فالبخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة-أي الدعة والراحة وترك الطاعات- لماذا ؟ وإن كان سؤال منكرو ونكير حقاً فالأنس لماذا ؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا ؟

(فائدة) ذكر صاحب (( مقامات العلماء )) أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسمًا : خمسة بالقضاء والقدر ، وخمسة بالاجتهاد ، وخمسة منها بالعادة ، وخمسة بالجوهر ، وخمسة بالوراثة . فأما الخمسة التي بالقضاء والقدر : فالرزق ، والولد ، والأهل ، والسلطان ، والعمر . والخمسة التي بالاجتهاد : فالجنة ، والنار والعفة ، و الفروسية ، والكتابة . والخمسة التي بالعادة : فالأكل ، والنوم ، والمشى ، و النكاح ، و التغوط . والخمسة التي بالجوهر : فالزهد ، والزكاة ، والبذل ، والجمال ، و الهيبة . والخمسة التي بالوراثة : فالخير ، والتواصل ، والسخاء والصدق ، و الأمانة . وهذا كله لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم (( كل شيء بقضاء وقدر )) . وإنما معناه : أن بعض هذه الأشياء يكون مرتباً على سبب ، وبعضها يكون بغير سبب ، والجميع بقضاء وقدر .





## الحديث الثالث

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".  
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 8]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 16].

شرح النووي:

قوله صلى الله عليه وسلم : (( بني الإسلام على خمس )) أي فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه ، كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وهي خمس ، وهذا بناء معنوي شبه بالحسي ، ووجه الشبه أن البناء الحسي إذا تهدم بعض أركانه لم يتم ، فكذلك البناء المعنوي ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (( الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين )) ، وكذلك يقاس البقية.  
وقد ضرب الله مثلاً للمؤمنين والمنافقين فقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: 109].  
شبه بناء المؤمن بالذي وضع بنيانه على وسط طود أي: جبل راسخ، وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف جرف بحر هار، لا ثبات له فأكله البحر فانهار الجرف فانهار بنيانه فوقع به في البحر، فغرق، فدخل جهنم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( بني الإسلام على خمس )) أي بخمس على أن تكون على : بمعنى الباء وإلا فالمبني غير المبني عليه فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام وهو فاسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى من كقوله تعالى ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ [المومنون: 6] والمعارض : [30]، أي من أزواجهم.  
الخمس المذكورة في الحديث أصول البناء وأما التتمات المكملات كبقية الواجبات وسائر المستحبات فهي زينة للبناء، وقد ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : (( الإيمان بضعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، قال وأدناها إمطة الأذى عن الطريق )) .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( وحج البيت وصوم رمضان )) . هكذا جاء في هذه الرواية بتقديم الحج على الصوم ، وهذا من باب الترتيب في الذكر دون الحكم ، لأن صوم رمضان وجب قبل الحج وقد جاء في الرواية الأخرى تقديم الصوم على الحج .

الشرح:

قوله صلى الله عليه وسلم : (( بني الإسلام على خمس )) أي فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه ، كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وهي خمس ، وهذا بناء معنوي شبه بالحسي ، ووجه الشبه أن

البناء الحسي إذا تهدم بعض أركانه لم يتم ، فكذلك البناء المعنوي...

— الحس ما يدرك بالحواس وهي خمس: بصر - سمع - شم - تذوق - لمس، و المعنوى ما يدرك بالعقل،

— وقد ضرب الله مثلاً للمؤمنين والمنافقين فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:109]. شبه بناء المؤمن بالذي وضع بنيانه على وسط طود أي: جبل راسخ، وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف حرف بحر هار، لا ثبات له فأكله البحر فانهار الجرف فانهار بنيانه فوقع به في البحر، فغرق، فدخل جهنم .

— الجرف: الصخرة الكبيرة على شاطئ البحر التي تأكل الأمواج أسفلها، فتكون صخرة قائمة لكن لا شيء تحتها

— الإسلام: هنا المقصود بها عموم الملة والدين، فيعني الإسلام والإيمان والإحسان.

قوله صلى الله عليه وسلم: (( بني الإسلام على خمس )) أي بخمس على أن تكون على : بمعنى الباء وإلا فالمبنى غير المبني عليه فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام وهو فاسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى من كقوله تعالى ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ [المومنون:6 والمعارج :30]، أي من أزواجهم.

— أى فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه، ولكنه لا يكتمل (الأركان ما يتنى عليه الشيء).

— ومعنى التمام ليس معنى الكمال مثل المنزل يبنى له أعمدة وسقف وحوائط وهذا البيت لم يكتمل ولكنه وجد وتم لكن يجب إكماله بما ينقصه لكي يصلح للسكن

— بني الإسلام على خمس: أى بخمس، على أن يكون "على" بمعنى "الباء"، وإلا فقد يتوهم أن المبني غير المبني عليه، فلو أخذنا بظاهر النص لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام فهذا معنى فاسد، والقاعدة تقول أن الحروف تأتي مكان بعضها في اللغة العربية بقواعد، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿وَأَصْلَبْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾، (في) هنا بمعنى (على)، فبالتالي (بنى على) ليس المقصود منها أن الإسلام غير الخمس ولكن هو مبني بها (مثل الدار المبني على أعمدة، فالأعمدة جزء من الدار).

— ويحتمل أن تكون بمعنى من كقوله تعالى ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ [المومنون:6 والمعارج :30]، أي من أزواجهم.

الخمس المذكورة في الحديث أصول البناء وأما التتمات المكملات كبقية الواجبات وسائر المستحبات فهي زينة للبناء...

— ومثال على أن البناء يتكون من أركان ومتهمات هو الخيمة، فالخيمة تتكون من عمود في منتصفها وهو الركن الأساسي فيها وعدة أوتاد أخرى، فإذا أزلنا الركن الأساسي زالت الخيمة وتهدمت

بالكلية، وإذا أزلنا الأوتاد كلها أصبحت بناءً بلا فائدة، وإذا أزلنا هاماً فيها انهدمت انهاراً تدريجياً

— وهذا مثال حسي يشبه هذا الدين ، فالدين بناءً معنوي مكون من عدة أعمدة أساسية وهي أركان الخمسة، وهذه إذا زال واحدٌ فيها كالصلاة ، انهدم الدين وزال، كما أنه مكون أيضاً من تتمات كمثال الأوتاد والتي إذا زالت بالكلية أصبح بناءً بلا فائدة، ومن هذه الأوتاد هامة جداً إذا زال منها وتد انهار البناء تدريجياً، ومثل هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يقم به أحد ينهار الدين تدريجياً، لانعدام من ينهي الناس عن هدم باقي الدين أوتاد الدين ومتمماته، وانعدام من يأمرهم بإصلاح دينهم وتكميله ودليل هذا قول النبي ﷺ في الحديث « مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا »<sup>(1)</sup>

وقد ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: (( الإيمان بضعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، قال وأدناها إمطة الأذى عن الطريق )) .

— وقد فرق الإمام النووي بين التمام الأول الذي هو بمعنى الوجود، والتتمات التي هي بمعنى المكملات وكما جاء في الحديث « الإيمان بضعة وسبعون ، أو بضعة وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »، فبالرغم من أن النبي ﷺ لم يعدد هذه الشعب ولم يبينها بأسمائها إلا أن الفائدة من الحديث بيان أن الأمور الدينية تتدرج في أهميتها، لكن الوقت يضيق عن فعل كل الأشياء فيفعل الأشياء الأهم منها ثم الأقل أهمية ثم الأقل وهكذا، وهذا واضح في النصوص الشرعية وفعل النبي ﷺ وقوله وتقريره

قول النبي ﷺ (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)

— فالشهادتين أساس العقيدة، والعقيدة ثلاث أقسام: إلهيات - نبوات - سمعيات.  
— والشهادة الأولى أي شهادة ألا إله إلا الله تحقق القسم الأول وهو الإيمان بالإلهيات والشهادة الثانية تحقق القسم الثاني وهو الإيمان بالنبوات والإيمان بالله ورسوله يحقق القسم الثالث "بما يخبر الله رسوله" من أمور غيبية أخبر الله تعالى عنها في كتابه وأخبر عنها الرسول ﷺ في سنته

قول النبي ﷺ (وَأَقَامِ الصَّلَاةَ )

— الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين، حديث ضعيف. والحديث الصحيح: "ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد"<sup>(1)</sup>، عموده: أي عمود الإسلام

— ومن هذا الحديث يتبين أن الصلاة عمود الإسلام كما وضحنا في مثال الخيمة أنه إذا زال العمود انهدمت الخيمة، كما يتبين مدى خطورة أمر الصلاة كما ورد في الأثر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مَنَافِقُ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)، فكأنه عهد أنه من يحافظ على هؤلاء الصلوات في الجماعة الأولى في المسجد مات على الإسلام، كما يتبين أن صلاة الجماعة من سنن الهدى وهي واجبة على الدوام

— جمهور العلماء على أن ترك الصلاة ليس كفر أكبر ولكنه يؤدي إلى الكفر لكن الإمام أحمد بن حنبل: كفر تارك الصلاة.

— لم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم للأعمى الذي لا يجد قائداً له أن يصلى في البيت، وقد رخص العلماء أعذار في ذلك وهذا لأن الأعمى عذره "على الدوام" فلو رخص له النبي ﷺ لما صلى في جماعة طيلة حياته، ولكن العلماء رخصوا لصاحب العذر الطارئ كمرض طارئ يشفى منه بعد يوم أو يومين ألا يصلي في الجماعة إذا كانت الصلاة فيها تؤذيه

— صلاة الجماعة مقصودة "لذاها" و"لغيرها":

لغيرها: أي مقصودة لحماية غيرها من مقصودات الدين، فالشيطان يتخذ خطوات لنيل مراده فلا يقول "اترك الصلاة" مباشرة ولكن يبدأ بخطوة ترك صلاة الجماعة ثم تأخير الصلاة عن وقتها ثم ترك الصلاة بالكلية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، وهكذا فإن الجماعة مقصودة لغيرها كما هو الحال في السنن والنوافل التي تعتبر كالأسوار تحيط بالواجبات، فإن تركت سهل الأمر على الشيطان الذي هدفه هو

<sup>1</sup> وعن معاذ رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ؟ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتُحِبُّ النَّبِيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، الصَّدَقَةُ تَطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلَا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} حَتَّى بَلَغَ {يَعْمَلُونَ} [السجدة: 16]. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ. وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أَتُكِّ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنَنِ؟» رواه الترمذي

إبعاد العبد عن الواجبات، فعندما دخل رجل على رسول الله ﷺ وسأله عما عليه فأخبره بالصلاة والصوم والواجبات، فقال الرجل ما أزيد على ذلك ولا أنقص، قال ﷺ: "أفلح إن صدق"<sup>(1)</sup>.  
إن: للاستبعاد. وإذا: للقرب والاحتمال.

قوله صلى الله عليه وسلم: (( وحج البيت وصوم رمضان )) . هكذا جاء في هذه الرواية بتقديم الحج على الصوم ، وهذا من باب الترتيب في الذكر دون الحكم ، لأن صوم رمضان وجب قبل الحج وقد جاء في الرواية الأخرى تقديم الصوم على الحج.



تم بحمد الله

<sup>1</sup> عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ، ثائر الرأس نسمع دوي صوتيه ، ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال : هل علي غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وصيام شهر رمضان » قال : هل علي غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع » قال : وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الزكاة فقال : هل علي غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع » فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح إن صدق » متفق عليه .

## الحديث الرابع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - : "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِّبَ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا".  
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 3208]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 2643].

شرح النووي:

قوله : وهو الصادق المصدوق ، أي شهد الله له بأنه الصادق ، والمصدق بمعنى المصدق فيه .  
قوله صلى الله عليه وسلم (( يجمع خلقه في بطن أمه )) يحتتمل أن يراد أن يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهما الولد كما قال الله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: 6، 7].  
ويحتتمل أن المراد أنه يجمع من البدن كله ، وذلك أنه قيل : إن النطفة في الطور الأول تسري في جسد المرأة أربعين يوماً ، وهي أيام التوحمة ، ثم بعد ذلك يجمع ويدبر عليها من تربة المولود فتصير علقة ثم يستمر في الطور الثاني فيأخذ في الكبر حتى تصير مضغة ، وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التي تمضغ ، ثم في الطور الثالث يصور الله تلك المضغ ويشق فيها السمع والبصر والشم والشم ، ويصور في داخل جوفها الحوايا والأمعاء ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 6] ، ثم إذا تم الطور الثالث وهو أربعون صار للمولود أربعة أشهر نفخت فيه الروح ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ يعني أباكم آدم ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ يعني ذريته ، والنطفة المني وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وهو الدم الغليظ المتجمد ، وتلك النطفة تصير دماً غليظاً ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ وهي لحمة ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج: 5]. قال ابن عباس مخلقة : أي تامة ، وغير مخلقة أي غير تامة بل ناقصة الخلق ، وقال مجاهد : مصورة وغير مصورة ، يعني السقط . وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : (( إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال : أي رب مخلقة ، أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة ، قذفها في الرحم دماً ولم تكن نسمة ، وإن قال : مخلقة ، قال الملك : أي رب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ ، ما الرزق وما الأجل وبأي أرض تموت ؟

فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك.

فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي إلى آخر صفته ))، ولهذا قيل : السعادة قبل الولادة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( فيسبق عليه الكتاب )) أي الذي سبق في العلم ، أو الذي سبق في اللوح المحفوظ ، أو الذي سبق في بطن الأم . وقد تقدم أن المقادير أربعة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع )) هو تمثيل وتقريب ، والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره وليس المراد حقيقة الذراع وتحديد من الزمان ، فإن الكافر إذا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مات دخل الجنة ، والمسلم إذا تكلم في آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار .

وفي الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار ، وإن عمل سائر أنواع البر ، أو عمل سائر أنواع الفسق ، وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به لأنه لا يدري ما الخاتمة . وينبغي لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ويستعيذ بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العقابة . فإن قيل : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ ﴾ . [الكهف:30] ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يقبل ، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة .

فالجواب من وجهين : أحدهما أن يكون ذلك معلقاً على شرط القبول وحسن الخاتمة، ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يجتم له دائماً إلا بخير ، وأن خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة ويدل عليه الحديث الآخر (( إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس )) أي : فيما يظهر لهم صلاح مع فساد سريرته وخبثها ، والله أعلم .

وفي الحديث دليل على استحباب الحلق لتأكيد الأمر في النفوس وقد أقسم الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ لَحَقِّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذاريات:23] ، وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَتَّبِعُنَّ ثُمَّ لَتَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [التغابن:7] ، والله تعالى أعلم .

الشرح:

قوله : وهو الصادق المصدوق ، أي شهد الله له بأنه الصادق ، والمصدق بمعنى المصدق فيه.

- الصادق: أي شهد الله له بأنه الصادق فهو الصادق بشهادتهم
- المصدق: أي المصدق فيه أي بنبوته وفيما يروى ويقول عن رب العزة فهو لا يكذب ﷺ
- وقد قدم عبد الله بن مسعود هذه المقدمة، لأن الحديث عن أمور الغيب التي لا تعلم إلا بوحي

قوله صلى الله عليه وسلم (( يجمع خلقه في بطن أمه )) يحتمل أن يراد أن يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهما الولد كما قال الله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق:6،7].

ويحتمل أن المراد أنه يجمع من البدن كله ، وذلك أنه قيل : إن النطفة في الطور الأول تسري في جسد المرأة أربعين يوماً ، وهي أيام التوحمة...

— المعنى الأول: يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهما الولد كما قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾

— المعنى الثاني: يجمع من البدن كله، وهذا في أطوار ثلاثة:

1. المرحلة الأولى بين النطفة والعلقة وهي أربعين يوماً.
2. المرحلة الثانية بين العلقه والمضغة وهي أربعين يوماً.
3. المرحلة الثالثة بين المضغة والتصوير وهي أربعين يوماً.

— النطفة: مفرد "نطاف"، وأصلها في اللغة "الماء القليل"، وهي كناية عن المني.

ثم بعد ذلك يجمع ويدر عليها من تربة المولود فتصير علقه ثم يستمر في الطور الثاني فيأخذ في الكبر حتى تصير مضغة ، وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التي تمضغ...

— علقه: هو الدم الغليظ المتجمد.

— المضغة: قطعة من اللحم صغيرة بقدر اللقمة التي تمضغ، فاللقم منها ما هو كبير وما هو صغير ولكن ما يمضغ هو المضغة

ثم في الطور الثالث يصور الله تلك المضغ ويشق فيها السمع والبصر والشم والشم والفم ، ويصور في داخل جوفها الحوايا والأمعاء ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : 6] ، ثم إذا تم الطور الثالث وهو أربعون صار للمولود أربعة أشهر نفخت فيه الروح ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ يعني أباكم آدم ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ يعني ذريته ، والنطفة المني وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وهو الدم الغليظ المتجمد ، وتلك النطفة تصير دماً غليظاً ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ وهي لحمه ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج: 5].

— مخلقة وغير وملقة:

قال ابن عباس مخلقة : أي تامة ، وغير مخلقة أي غير تامة بل ناقصة الخلق ، وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة، يعني السقط.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : (( إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال : أي رب مخلقة ، أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة ، قذفها في الرحم دماً ولم تكن نسمة ، وإن قال : مخلقة ، قال الملك : أي رب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ ، ما الرزق وما الأجل وبأي أرض تموت ؟ فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك . فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي إلى آخر صفته ))، ولهذا قيل : السعادة قبل الولادة .

— السعادة قبل الولادة أي يكتب هل سعيد أو شقي قبل الولادة، والسؤال: هل كون هذا مكتوب

ومعلوم "ينبئ عليه عمل؟"



قالوا -أي الصحابة-: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ففيما العمل؟ قال صلى الله عليه وسلم: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له". أي الإنسان لا يشغل بما علم الله تعالى عنه، بل يفعل ما أمر به من العمل والاجتهاد. - قوله ﷺ: (فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ):

وفي الحديث دليل على استحباب الحلف لتأكيد الأمر في النفوس وقد أقسم الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات:23]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن:7]

- إلا أننا نكثر من الحلف أما إذا استدعى المقام فيجوز وقد يستحب.  
- قال الشافعي: ما حلفت بالله صادقاً أو كاذباً قط (لأنه لم يمر عليه موقف يستدعي هذا في حياته كلها).

قوله صلى الله عليه وسلم: (( حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع )) هو تمثيل وتقريب ، والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره وليس المراد حقيقة الذراع وتحديد من الزمان ، فإن الكافر إذا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مات دخل الجنة ، والمسلم إذا تكلم في آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار .

- الذراع من وحدات قياس المسافة ، واستخدم هذا التشبيه حتى لا يشغل الناس بحسابه

قوله ﷺ: (فَيَسْقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ)

- أي الذي سبقه في العلم، أو الذي سبقه في اللوح المحفوظ، أو الذي سبقه في بطن أمه، وقد تقدم في الحديث الثاني أن المقادير أربعة

قوله ﷺ: (فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا)

- فالمسلم إذا تكلم آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار، وإن عمل سائر أنواع البر

وفي الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار ، وإن عمل سائر أنواع البر ، أو عمل سائر أنواع الفسق ، وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به لأنه لا يدري ما الخاتمة . وينبغي لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ويستعيد بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العاقبة . فإن قيل : قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾. [الكهف:30] ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يقبل ، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة . فالجواب من وجهين : أحدهما أن يكون ذلك معلقاً على شرط القبول وحسن الخاتمة ...

- أن يكون ذلك معلقاً على شروط القبول وحسن الخاتمة : فهنا مقيد ومخصص:

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، والأمر معلق، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، والقاعدة في أصول الفقه أن النص لا يعمل وحده بل يجب أن يجمع عليه غيره إن وجد، والنص قد يقيد أو يخص أو يعمم أو ينسخ أو يدرج بنص آخر .

ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائماً إلا بخير ، وأن خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء

العمل أو خلطه بالعمل المشوب بنوع من الرياء والسمعة ويدل عليه الحديث الآخر (( إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس )) أي : فيما يظهر لهم صلاح مع فساد سريرته وخبثها ، والله أعلم .

- أي أن من آمن وعمل الصالحات وأخلص ويمكن من أحوال القلوب الموجبة لقبول العمل لا يختتم له إلا بخير، قال ﷺ : "إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس"، فالرأيان مآلهم واحد: فالإنسان لا يظل دائماً في أعمال الإيمان مخلصاً مقيداً صادقاً مع الله وفجأة يكفر ويختم له الله بالسوء، قال ابن القيم-رحمه الله-: (لن ينتقل من الخراب إلى الخمارة ومن السبحة إلى الرد) ولكن للعمل محبطات وعليه أن يحذرهما ولا يقع فيها، فيدوا عمله للناس صحيحاً، ويحبط عمله.

- فمن محبطات العمل:

1. الرياء أن يعمل صالحاً للناس غير مخلص لله.
2. العجب: أن يعجب بعمله ولو كان مخلصاً فيه.
3. التكبر.
4. الشرك.
5. المن ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾.
6. السمعة (التسميع) (يسعد أن يعمل مخلصاً ثم يسمع بما عمل).
7. الصغائر (تؤدي إلى الكبائر) ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ﴾.
8. خيلاء.
9. ذكر.
10. شهوة.

فبمعرفة كل هذه الآفات في أعمالنا لا نأمن على أعمالنا؟ فقد تكون كلها محبطة، لهذا لا نأمن مكر الله، فإن الإنسان لا يعلم حقيقة نفسه ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ويحول الله بينه وبين قلبه من كثرة معاصيه التي لا يشعر بها، أو بمعنى أصح التي يجهلها الإنسان بجهله فيظن أنه جيد وهو سيئ، فالشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به وينبغي أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ويستعين بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العاقبة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو أفضل الأمراء بلا خلاف وإجماع المسلمين لا يأمن مكر الله ﷻ وليس هذا تكديماً لتبشير الرسول ﷺ له بالجنة، ولكن لأنه يعلم ما لا نعلم ويفهم ما لا نفهم من نقص العمل في مقدار حق الله، والآفات الملية بما العمل فيرى عمله على حقيقته فلا يفرح بل يزداد خشية ولا يأمن.

وقد يكون تبشير الرسول ﷺ له بالجنة معلق على شرط أو ما شابه ولا يعرفه (أخفاه عليه الرسول ﷺ) فهو صدق مع الله فاستحق أن يبشر بالجنة.

كذلك الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله- حين جاءه الشيطان عند موته وقال له أفلت مني -ليؤمنه مكر الله-

فقال له إمام أهل السنة والجماعة (ليس بعد).

فالمؤمن الصالح فلا يأمن مكر الله تعالى لأنه لا يضمن أن عمله هذا ليس عمل سوء من حيث لا يشعر أو يجهل فلأعمال تتعرض لآفات كثيرة قد تعرض العمل للإحباط.

قوله ﷺ : (وَإِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)

- فالكافر إذا نطق الشهادة ثم مات دخل الجنة
- إذن فالكافر قد يعمل سائر أنواع الفسق ويختم الله تعالى له بخير، فالله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فضلاً منه وتكرماً ونعمة
- وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تنزل تجود وتعفو منه وتكرماً
- فالله تعالى لا يظلم، ولكنه تعالى يتفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
- وقد يسأل سائل فيقول كيف يساوي تعالى بين رجل لم يفعل خيراً قط ومات كافراً والآخر عمل ما عمل من أعمال البر لكنه مات على معصية؟ فالجواب أن الله تعالى لا يساوي بينهم فمن مات على معصية لكنه مؤمن ولم يكتب له العفو والمغفرة عذب في النار ثم أدخل الجنة، أما حال الكافر فهو وإن عمل خيراً فعمله محبط بكفره وهو مخلد في النار
- وكيف يساوي تعالى بين من كان مسلماً طوال حياته ومن أسلم قبل موته ولم يعمل من الصالحات؟ فالجواب قد يكون أن الله تعالى علم أن هذا الشخص لو عاش حيناً من الدهر سيظل على حاله من الإسلام والطاعة
- والله تعالى حكيم لا نعلمها كلها، فتوبة الله تعالى على الكافر الذي لم يعمل خيراً قط إنما هي لحكمة، ولا يجب علينا معرفة كل الحكم، ولكن علينا أن نستهدي الله تعالى ونسأله من فضله...



تم بحمد الله

## الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 2697]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 1718]. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

شرح الإمام النووي-رحمه الله:-

قوله صلى الله عليه وسلم: (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) أي مردود. فيه دليل على أن العبادات من الغسل والوضوء والصوم والصلاة إذا فعلت على خلاف الشرع تكون مردودة على فاعلها، وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك، وقال صلى الله عليه وسلم للذي قال له: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامراته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافنديت منه بمائة شاه ووليدة، فقال صلى الله عليه وسلم: (( الوليدة والغنم ردّ عليك )) . وفيه دليل على أن من ابتدع في الدين بدعة لا توافق الشرع فإثمها عليه، وعمله مردود عليه وإنه يستحق الوعيد، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (( من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله )).

الشرح:

— أم عبد الله: هو كنية لعائشة رضي الله عنها

— رد: أي مردود

قوله صلى الله عليه وسلم: (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) أي مردود. فيه دليل على أن العبادات من الغسل والوضوء والصوم والصلاة إذا فعلت على خلاف الشرع تكون مردودة على فاعلها

— فالعبادات إذا كانت مخالفة للشرع تكون مردودة على صاحبها، ولكن ليست كل المخالفات رادة للفعل مبطله لها، فكيف إذن تتحقق صحة العبادة؟؟

تحقيق صحة العبادة:

جعل الشرع من الأفعال ما يجب الإتيان به لكي تصح العبادة منها:

1. الشرط: ليس جزء من العمل فخارج عن العمل لكن لابد من وجوده لتحقيق صحة العبادة  
مثال الوضوء في الصلاة.

2. الركن: هو جزء ماهية الشيء فهو جزء من العمل أو العبادة يجب الإتيان به، وإذا فقد فقد

نقصت العبادة نقصاً كبيراً ولا تسمى عبادة أصلاً، ومثال ذلك عدم الإتيان بالسجود في

الصلاة فالصلاة حينئذ لا تسمى صلاة بالمعنى الشرعي

ماهية الشيء: حقيقة الشيء فحقيقة الصلاة مثلاً هي اجتماع الأركان مع بعضها (14 ركن) لأن كل منها جزء من الصلاة فإذا فقد إحداها لم تسمى صلاة فكذا فقدان الجزء أو الركن يؤدي إلى فقدان الماهية.

مثال آخر: إذا نرعت من الماء ذرة أو كسجين (وهو جزء من الماهية) فقد تحول الماء إلى غاز الأوكسجين سريع الاشتعال وله عدة صفات أخرى بخلاف الماء ولكن إذا نرعت بعض الأملاح فقط قد يختلف طعمه ولكنه يظل ماءً لأنه فقد شيء من المتممات فقط لكنه لم يفقد ركنًا

مثال آخر: الشاي يتكون من ثلاثة أركان: ماء وشاي وحرارة، فإذا فقد ركن الحرارة مثلاً بأن وضعت شايًا جافاً على ماء بارد لم يكن هذا شايًا أصلاً، وكذا إذا فقد الشاي أحد ركنيه الآخرين من الماء أو الشاي الجاف، أما لو فقد الشاي السكر مثلاً سُمي أيضاً شايًا لأن السكر ليس جزءاً من ماهية الشاي

وهذا يوضح الفرق بين جزء الماهية وما هو زائد عن الماهية.

3. الواجب: أشياء ليست جزء من الماهية ولكن مهمة جداً فإذا تركها عمداً يبطل عمله ولكن إذا نسيها يكون العمل صحيح، مثال ذلك: التشهد الأول في الصلاة - عند الخنابلة.

ملحوظة: ترك الركن أو الشرط نسياناً لا يأثم الشخص لقول النبي ﷺ (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)، لكن هذا ليس معناه أن العمل الذي فقد شرطه أو ركنه قد أجزأ شرعاً، ولكن الذي رفع هو إثم الخطأ ولكن عليه أداء الشيء الذي لم يؤد.

ما يرد العبادة:

هي الأشياء التي تؤدي إلى رد العمل على صاحبه وهي:

### 1. ترك أيًا من:

- الشرط: الشرط هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، ففقدان الشرط يفقد العبادة صحتها لأنه يلزم من عدمه العدم، هذا وإن كان حصوله لا يعني حصول العمل لأنه لا يلزم من وجوده وجود ولا عدم، مثال: الوضوء شرط لصحة الصلاة فبدون الوضوء لا تصح الصلاة وإذا وجد الوضوء هذا لا يعني صحة الصلاة فقد يوجد مبطلات أخرى
- مثال آخر: النية في الصلاة: النية شرط من شروط الصلاة يلزم من عدمها العدم ولا يلزم من وجودها وجود الصلاة ولا عدمه، هذا وإن كان بعض العلماء عدها من الأركان

- الركن، الركن: إذا فقد الركن فقد العمل حقيقته الشرعية، مثال: فقد ركن كالركوع في الصلاة يجعلها تخرج من كونها صلاة وتصبح مجرد أفعال وحركات وليست بصلاة بالمعنى الشرعي
- مثال آخر: ترك الاطمئنان<sup>1</sup> - أو الطمأنينة - جاهلاً أو ناسياً تجعل على الفرد أن يعيد صلاته
- الواجب: تركه عمداً يبطل العمل أما تركه نسياناً أو سهواً لا يفقد العمل ماهيته ويكون صحيحاً، مثال: ترك التشهد الأول عند الحنابلة عمداً يبطل الصلاة ونسياناً تكون الصلاة صحيحة.

## 2. فعل الناقض المبطل: ومثاله في الصلاة كثرة الحركة ومثاله في الصوم الأكل والشرب عمداً أو الجماع<sup>2</sup>

<sup>1</sup> قدر العلماء الاطمئنان في الركوع والسجود بالوقت الذي يكفي تسيحة وهو ركن لحديث الرسول ﷺ عندما جاءه الصحابي الجليل وصلى مستعجلاً بدون اطمئنان ليسلم على النبي ﷺ - فلم يكن مثلنا في عجلة من أجل شهوات الدنيا وملذاتها - قال له الرسول ﷺ: (ارجع فصلّى فإنك لم تصل)، وظل ﷺ يأمره بإعادة الصلاة حتى قال الصحابي: والله لا أحسن غيرها يا رسول الله فقام وعلمه الاطمئنان وكان من ضمن كلامه ﷺ في الحديث (... ثم اركع حتى تطمئن راکعاً) وهكذا.

<sup>2</sup> اختلف العلماء في الصوم على قولين:

القول الأول: يرى أن هذه الأشياء تؤدي إلى بطلان الصوم ولكنها ليست نواقض للصوم لأنه ترك الفعل أصلاً، على هذا فإن الصيام يوم العيد لا ينعقد لأنه ليس بصيام شرعي ولكنه مجرد امتناع عن الأكل والشرب ومثله في الحيض والنفاس.

القول الثاني: في الصوم عفي عن الأكل ناسياً والفرق بينها وبين الصلاة:

- الصلاة: فعل يجب الإتيان به.
- الصوم: فعل يجب تركه مدة طويلة فيشق على الناس إتيان الركن طوال الوقت كما أنه فيها حديث خاص، ولهذا اعتبر بعض العلماء الأكل في الصوم من المبطلات، كما أنه الزور في رمضان يبطل الصوم وليس المقصود شهادة الزور فقط ولكن قول وفعل يخالف الشرع.

وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك..

- عقد الفاسد يجب رده على صاحبه، فإن للعقد شروط وأركان وإذا لم تنعقد بطل العقد وفُسخ مثال: عقد الزواج يشترط وجود الولي والإشهار والصيغة وشاهدي العدل وعدم وجود أي من هذه الأركان يعني أن الزواج باطل.
- وأيضاً إذا توافرت الأركان ولكن كانت الصيغة خاطئة يبطل العقد حيث أنه لا تنفع النية في الأشياء المهمة فمثلاً لا يكتب في العقد: (سأزوجه ابني ويقول أن نيته كذا وكذا)، لذلك كل العقود تكون بصيغة الماضي حتى لا يحصل عليها تنازع.
- في الحديث (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)
- الباءة هي القدرة المالية والقدرة على الجماع، وحد ﷺ الاستطاعة على الزواج بذلك لأنه (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول)، كما لا يشترط في الزواج القدرة على الجماع إذا كان هذا برضا الزوجة وإذا خدعها الزوج يكون العقد منفسخ.
- من شروط العقد معرفة الثمن: فإذا لم يكن الثمن معروف في العقد وهو شرط يبطل العقد، إذن فجهالة الثمن يبطل العقد، ومثال ذلك أن تشتري كتاباً ولا تحدد ثمنه وبعد أن تقره تختلف مع البائع في الثمن.

وقال صلى الله عليه وسلم للذي قال له : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته ، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاه ووليدة، فقال صلى الله عليه وسلم : (( الوليدة والغنم ردّ عليك )) .

- عسيفاً: أجيراً
- فعدم مراعاة غض البصر والاختلاط أدى هذا الزنا قال تعالى: "ولا تتبعوا خطوات الشيطان"، فبسيان القلب لا يكون بالتمني لكن الخلطة وعدم مراعاة أحكام الشرع تؤدي إلى احتكام الشهوة في القلب ووجود إرادة المعصية.
- إثبات الزنا يكون بالإقرار أو البينة (وهم الشهود)
- الحقوق المالية والحقوق المختصة بالأفراد يقبل فيها بتسامح الأشخاص أما الحقوق التي تخص المجتمع فلا يقبل فيها بذلك لسبب:

1. أن الفساد يعم بسببها ومن ثم الغضب والنقمة فلا تهاون في اقامتها.
2. إذا وصل الأمر للحاكم فلا بد أن يحكم ولا بد من نفاذ الحكم أما التسامح فيكون فقبل أن يصل الأمر إلى الحاكم.
3. لا تسامح في حق الله تعالى أو حق لمجتمع المسلمين حتى لا يعم الفساد

— إن كل محرم فيه حقين: حق لله عز وجل وحق للآدمي، فإذا تسامح الآدمي فإن حق الله سبحانه لا يغفر إلا بالتوبة.

— القصاص هو حق للآدمي ولكي يصبح كفارة للمحدود فله شروط وهي:

1. التوبة

2. إقامة الحد على المحدود

3. رد الحقوق إلى أصحابها

وفيه دليل على أن من ابتدع في الدين بدعة لا توافق الشرع فأثمها عليه، و عمله مردود عليه وإنه يستحق الوعيد ، وقد قال صلى عليه وسلم : (( من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله )).

— لعنة الله: الطرد من الرحمة، ويتوب الله على من تاب

— إذن فمن آفات البدعة على الشخص:

1. أنه مأزور-أي عليه إثم

2. أن عمله لا يقبل

— فالله ﷻ لا يقبل إلا العبادة بما شرع وإحداث أو اختراع عبادة هذا افتتات على الشرع، افتتات: سلب

الحق عنوة، قال تعالى ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾

— واجبتا تجاه المبتدع:

1. يجب عليك ألا تعين المبتدع ولا تعامله معاملتك للمصالحين ولكن يجب أن تزجره وتظهر

مخالفتك له وتتخذ السبيل والأسلوب الذي يقومه (كأن تهجره أو...).

2. لا تعاشر المبتدع لأن النظر إلى وجه يسود القلب لأن البدعة شؤم

3. ذكر بدعة المبتدع وهو واجب وليس بغيبة لئلا يتبعه الناس

فالمبتدع لا تعامله ولا تعاشره ولا تأكل معه إلا على الوجه الذي تنهاه به عن بدعته.

— ظهور البدعة: عندما نزل قوله تعالى (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله تواباً رحيماً)

حزن إبليس وأعوانه لأن المرء إن تاب من الذنوب غفر الله له، فعمدوا إلى مخالفة لا يتوب المرء منها،

فعمدوا إلى البدعة لأنهم تدفع صاحبها إلى عمل أشياء يظن أنها من الدين وابتغاء مرضاة الله وهذا ليس

صحيحاً، لذا فصاحب البدعة غالباً قليل التوبة لأنه يظن أن فعله من الدين، وقال بعض العلماء بعدم توبة

المبتدع لأنهم غالباً لا تكون صادقة ولكن يتوب الله على من تاب إن كان صادقاً في توبته.

— لم لا تشرع البدعة؟

لأن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ فلم إذن المخالفة بالزيادة والنقصان بعملٍ إما

أن يعتقد :

1. أنه أفضل من الشرع فتؤدى به إلى الخروج من الدين



2. أسوأ من الشرع وأقل قدراً فما حاجتنا إليه إذن

3. مثل الشرع إذن فالأولى الأخذ بالشرع

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إذن فكل ما أحدث في الدين وليس مما أمر به الشرع هو من البدعة، وهذا لأن الشرع الإسلامي لم يدع من الخير شيئاً إلا به أمر ولا شراً إلا ومنه حذر بل وحدد بأي مقدار تطلب الأعمال والمقدار الذي حدده هو أفضل مقدار،

— العدول عن السنة يؤدي إلى البدعة:

فالشرع قد حدد بأي مقدار تطلب الأعمال والمقدار الذي حدده هو أفضل مقدار، والضرر يأتي من مخالفة ذلك، [فالمغالاة أيضاً لا تطلب وهي من البدع] فالذي يترك هدي النبي ﷺ في نوم بعض الليل لا بد أن يعجز عن القيام بواجبات آخر، والصحابة رضوان الله عليهم عندما خرجوا في غزوة كان منهم المفطرون ومنهم الصائمون، والجهد يتطلب مشقة شديدة قد لا يتحملها الصائم، ولذا قال الصائمون في آخر اليوم ذهب المفطرون بالأجر.

أيضاً ترك سنة النبي في الزواج الذي يؤدي إلى:

1. الترابط وثبوت النسب

2. الأب يريد أن يكون ابنه أفضل منه وهذا يؤدي إلى نمو المجتمع

3. ترك الزواج يؤدي إلى اختفاء النسل [وفي كثرة النسل قوة الأمة]

ترك هدي النبي في الزواج يؤدي إلى انهيار الأسرة وتفكك المجتمع وانحلاله أخلاقياً كما يحدث من الزنا بين الراهبين والراهبات في الكنيسة، فترك هدي النبي ﷺ يؤدي للوقوع في المحرمات

— حد البدعة-أي تعريفها:

البدعة شرعاً: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بها التعبد في ذاتها أو زيادة التعبد لله تعالى.

"طريقة في الدين": لكي يكون العمل بدعة محرمة يجب أن تكون في الدين وليست بدعة في المعاملات مثل عيد الميلاد- الذي نهي عنه لعدم التشبه بالكفار).

"مخترعة": مخترعة أي أنها مخترعة في شأن الدين والمبتدع هو الذي ألفها وليس له سلف فيها، ومثال ذلك: ما يحدث في الحضرة حيث يبدأ الصوفية بذكر لفظ الجلالة (الله) فقط واستدلوا بها من سورة الأنعام ﴿قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾، واستدلواهم خاطيء لأن هذه الآية هي إجابة عن سؤال في سياق

<sup>1</sup> حديث الصحابة الثلاثة الذين تقالوا (استقلوا) عبادة الرسول ﷺ هم استقلوها بالنسبة لأنفسهم ولكن هذا

خطأ حيث أن فعل الرسول ﷺ هو أفضل عبادة وأكملها وأعلاها وأعظمها وهذا من العقيدة. وعمل النبي ﷺ

هو الصحيح لأن القيام طوال الليل يؤدي لضيق الواجبات الأخرى

القرآن، لكنهم أيضاً لم يكتفوا بذلك ولكن حذفوا الألف وأصبحت آله" ثم أضافوا التنظيط وغيره من البدع، فحرمهم الله تعالى حتى من قول اسمه.

"تضاهي الشرعية": تقابل الشرعية.

لأننا يجب علينا أن نصف الله ﷻ بما هو أهل له وبما وصف تعالى نفسه به وبما وصفه به أعلم الخلق به محمد ﷺ، فهذا التنظيط الذي يحدث أثناء الذكر المبتدع في الحضرات لم يرد ولم يشرع هذا التنظيط وهو ليس من الأدب مع الملك ﷻ.

"يقصد بها التعبد": كأن يؤدي صلاة ليست كصلاة الرسول ﷺ

"أو زيادة التعبد": كأن يصلي الظهر 5 ركعات

"في ذاتها": أي ليس لغيرها، مثل السبحة إن اعتقد أن لها فضلاً في ذاتها فهي بدعة، وإن استخدمها لغيرها وهو ذكر الله تعالى فليست بدعة

البدعة لغة: شيء على غير مثال سابق ولم يكن موجوداً من قبل، وغير موجود لأنه غير موجود منذ بداية الخلق أو كان موجوداً ثم اندثر وأصبح غير موجود في زماننا

— هل تشرع البدعة الحسنة: تشرع إن كان المقصود هو البدعة لغة فيكون معنى البدعة الحسنة هي فعل السنة المهجورة أو إحياء السنة المتروكة كما قال عمر ﷺ (نعمت البدعة هذه) عندما جمع الناس في رمضان لصلاة التراويح على إمام واحد إحياءاً لما كان عليه رسول الله ﷺ ثم تركه خشية أن تفرض على الناس، ولكن بعد موته ﷺ انتهت العلة ولن تفرض.

— كيف يحكم بكون الأمر بدعة: يكون العمل بدعة إذا كان مخالفاً للسنة ويفعله تعبدًا، فيجب على الشخص حتى لا يلتبس عليه الأمر ألا يفعل عبادة حتى يتأكد أنها مشروعة وكما قيل لا تقدم على عمل إلا بعلم ونية

— كيف نعامل المبتدع:

الظاهر عند المبتدع أنه يقوم بما يدعي أنه سنة بسبب جهله مثلاً، لذلك يجب أولاً التوضيح له وذكر أقوال العلماء والأدلة وإن أصر بعد البيان الواضح الذي لا يلتبس عليه يكون مبتدعاً. البيان يكون من أهل البيان حتى وإن كان البيان واضحاً منك ولكن قد لا يقبله إما لصغر سنك أو استخفافه بك وظنه فيك أنك متشدد أو لشيء من هذا القبيل، أما إذا كانت الشروط مستقرة فعدم امتناعه عن بدعته يكون لهوى في نفسه.

### أسئلة وتعليقات :

- العبادات المطلقة التي فعلها النبي ﷺ مثل مطلق الذكر جائزة وأما تأليف أذكار معينة أو التزام عبادات مطلقة في أمكنة وأزمان معينة - كالدعاء بعد كل صلاة - فغير مشروع وبدعة مكروهة - أي ليست حرام - يجب عدم فعلها وهذا قول شيخ الإسلام .
- الحديث الذي سئل فيه النبي ﷺ عن الصلاة عليه في كل وقت فأجازه فهذا شرع لأنه صدر عن النبي ﷺ وليس بدعة.
- عند بعض العلماء قد لا يثبت عندهم هل الفعل بدعة أو لا ولكن يكون الأمر قيد البحث ومعناه أنه يقول الظاهر عندي أنها بدعة ولكن اجثوا فيه، كالشيخ الألباني مثلاً فقلوه بدعة أي لم تثبت بعد عنده وهي مازالت قيد البحث
- الصلاة وراء المبتدع لا تجوز:
  1. لئلا يقتدي به الناس
  2. حتى لا تكثر سواد المبتدعة
  3. حتى لا تنتشر بدعته خاصة إذا كان مقتدى به ولكن لا تكون الصلاة باطلة بل تكون صحيحة ولكن قد تأثم
- لا يتعين أن تصل المبتدع إلا الأب والأم ولكن الأقرباء يمكن مقاطعتهم إذا تُصور عدم وجود فائدة وأنهم لن يرتدعوا.
- إذا ابتدع الإمام أثناء أداء الصلاة فإذا كان العمل مبطل تنوى مفارقتة وتكمل وحدك أما إذا كان غير مبطل فتكمل الصلاة، مثل مسألة القنوت في الصلاة ففيها تفصيل كثير يأتي في فقه الصلاة إن شاء الله



## الحديث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ التُّعْمَانِيِّ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مِلْكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".  
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 52]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 1599].

شرح النووي:

قوله صلى الله عليه وسلم : (( الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات .... الخ )) اختلف العلماء في حد الحلال والحرام ، فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الحلال ما دل الدليل على حله. وقال الشافعي رحمه الله : الحرام ما دل الدليل على تحريمه .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( وبينهما أمور مشتهيات )) أي بين الحلال والحرام أمور مشتهية بالحلال والحرام ، فحيث انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة . وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك ، بل ولا يستحب ، ويكره السؤال عنه .

قوله صلى الله عليه وسلم : ((فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه )) أي طلب براءة دينه وسلم من الشبهة . وأما براءة العرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعهم في الإثم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم )).. وعن علي رضي الله عنه أنه قال : إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره، فرب سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً.

وفي صحيح الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأذنه ثم لينصرف )) وذلك لقلا يقال عنه أحدث .

قوله عليه الصلاة والسلام: (( فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام )) يحتمل أمرين : أحدهما أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام. والثاني: أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام كما يقال: المعاصي بريد الكفر. لأن النفس إذا وقعت في المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها ، قيل : وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ . [آل عمران: 112]. يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء .

وفي الحديث : (( لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده )).

أي يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة ، والحمى ما يحميهِ الغير من الحشيش في الأرض المباحة فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً من الحمى .واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به ، فالفرج محرم وحماه الفخذان لأنهما جعلاً حريماً للمحرم ، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم ، فيجب على الشخص أن يحتب الحريم والمحرم ، فالحريم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( ألا وإن في الجسد مضغة )) أي في الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح، وإذا طمحت طمحت الجوارح وإذا فسدت فسدت الجوارح . قال العلماء : البدن مملكة والنفس مدينتها، و القلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدام والقوى الباطنية كضياح المدينة، والعقل كالوزير المشفق الناصح به ، والشهوة طالب أرزاق الخدام، والغضب صاحب الشرطة، وهو عبد مكار خبيث، يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل، ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح والقوة المخيلة في مقدم الدماغ كالحازن، والقوة المفكرة في وسط الدماغ، والقوة الحافظة في آخر الدماغ، واللسان كالترجمان، والحواس الخمس جواسيس، وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات، فوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، وكذلك سائرهما فإنها أصحاب الأخبار، ثم قيل: هي كالحجة توصل إلى النفس ما تدركه، وقيل : إن السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس، فالقلب هو الملك فإذا صلح الراعي صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية ، وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخريه والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضى بالمقدور، وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين ، عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم.

المعاني:

- مشتبهات: أى مشتبه أنها حلال من وجه ومشتبه أنها حرام من وجه آخر فهي في محل احتمال وشبهة.
- وقع: دخل فيه.
- حمى: ما يحميهِ الغير من الحشيش في الأرض المباحة.

الشرح:

قوله صلى الله عليه وسلم : (( الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات .... الخ )) اختلف العلماء في حد الحلال والحرام ، فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الحلال ما دل الدليل على حله. وقال الشافعي رحمه الله : الحرام ما دل الدليل على تحريمه .

- اختلف العلماء في حد الحلال والحرام:

1. فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الحلال ما دل الدليل على حله: أي أن الأصل في الأمور التحريم والحلال هو ما جاء الدليل في حله، مثال: هل يجوز أكل الأرنب؟ عند أبي حنيفة: هو حرام ما لم يثبت دلل على حله، وهناك دليل على أكل الرسول ﷺ للأعنام، إذن فهو حلال
2. وقال الشافعي رحمه الله: الحرام ما دل الدليل على تحريمه: فالأصل في الأمور الإباحة فهي حلال ما لم يدل الدليل على التحريم

3. ولها استثناءات مثل الأضباع-جمع بضع، الأضباع: الفروج، الزواج. ونحن نقول إن الأمور-معظم الأمور- ورد فيها نص-حديث مثلاً-وهذا النص إما دل على الحل أو التحريم، أما الأمور التي لم يرد فيها نص فهناك قواعد هامة تضبط هذه الأمور مثل: لا ضرر ولا ضرار، فلأمر الذي فيه الضرر المحض يُحرّم، كما أن الأمر الغالب فيه الضرر يُحرّم كمثال الخمر-لكن الخمر فيها نص، أيضاً من القواعد: يُحرّم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير. فكيف نعرف حل أمر أو حرمة؟

- بالنسبة للعامة: بالبحث عن فتوى العلماء -الاستفتاء-
- بالنسبة للعالم: ينظر في الأدلة الخاصة-وهي الأدلة التي جاءت في تحليل أو تحريم أمر بعينه- أو القواعد العامة ويستنبط منها الأحكام-وهي القواعد التي جاءت لتضبط ما لم يأتي فيه نص خاص مثال: الحمر الأهلية -التي تعيش مع الناس-: حرام ذبحها وأكلها. الحمر الوحشية- التي تعيش في الغابة-: يجوز ذبحها وأكلها ولحمها طيب، وهذا حيث أن الرسول ﷺ حرم الحمر الأهلية وهناك نص خاص فيها.
- قال الشيخ السعدي: الأصل في الأضباع واللحوم والنفوس والأموال تحريمها حتى يجي الحل.

### 1. الزواج:

مثال: شخص يقول أريد أن أتزوج أختي نقول لا حرام عليك إلا أن تأتي بدليل على الحل-ولن يجد الدليل- أما لو قال شخص أريد أن أتزوج بنت خالي، فتقول له يجوز والدليل ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾<sup>(1)</sup>، لا حظ أن تحليل الزواج من بنت الخالة جاء بورود الدليل على الحل مع أن الأصل في الزواج منها هو الحرمة

### 2. النفس:

من جهة الإيذاء- وأشد الإيذاء القتل-ولا يجوز إلا بدليل، قال ﷺ: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"

### 3. اللحوم:

اللحوم الأصل فيها التحريم ما لم يدل على حله دليل - والمسألة فيها خلاف - فمثلاً هل يجوز أكل لحم الثعلب؟ لا هو حرام - على قول الشيخ السعدي - حتى يأتي دليل على الحل، وهذا ليس القول المختار.

قوله صلى الله عليه وسلم: (( وبينهما أمور مشبهات )) أي بين الحلال والحرام أمور مشبهة بالحلال والحرام ، فحيث انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة . وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك ، بل ولا يستحب ، ويكره السؤال عنه .

- (وبينهما أمور مشبهات) أي أمور مشبهة بالحلال من وجه وبالحرام من وجه آخر، فهي تختلط على الناس، ولا يعلم لها حكم يقيني، فهي في محل الاحتمال
- (وحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة): فالتورع عن الشبهة يعتمد على قوتها، فمثلاً إذا جاء غريب ببضاعة، فهل نشترى منه أم يجب أن نسأل عن مصدر هذه البضاعة وهل هي ملكه أم مسروقة؟ الجواب أنه لا يجب البحث عن ذلك ولا يستحب ويكره السؤال عنه والسؤال عنه بدعة لا تجوز، هذا لأن الرجل في بلاد المسلمين ولم يظهر عليه شيء يدعو للشك في أمانته، فنشترى منه ولا نسأل لأن الأصل فيه الإسلام والأصل في المسلم الأمانة والسلامة، أما إذا رأيته يسرق أو يسب الدين أو يخطف شيئاً أو يعمل عملاً خاطئاً فهذه شبهة تستدعي الاختلاط، فإما أنك تبحث وتحقق أو تترك معاملته
- الشبهة نوعان:

#### 1. الشبهة في إدراك الحال والواقع

#### 2. الشبهة في إدراك الحكم

- الشبهة في إدراك الحال والواقع: وفيها الحكم ثابت لكن تكون الشبهة في إدراك الواقع أم الحال مثال: الخمر حرام يقيناً - ومن يقول خلاف هذا ترك الإسلام - فحرمة الخمر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة في مصر والبلاد القديمة في الإسلام، فهنا الحكم معروف، لكن أحد الأشخاص كان معه عصير وظل فترة في الحر فشك في أن العصير تخمر فهل يشربه؟ هنا الشبهة ليست في إدراك الحكم إنما في معرفة واقع العصير هل استحال لخم أم لا ؟
- أحكام التعامل مع الشبهة في إدراك الواقع: إذا حدثت الشبهة في إدراك الواقع فهناك أمور يتورع عنها ويستحب تركها ، وكلما زادت الشبهة ازداد استحباب تركها، (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) وقد تزيد الشبهة إلى الحد الذي يوجب تركها وهذا حين يغلب الظن، كأن يغلب عليك الظن أن العصير تخمر، فهنا يجب تركه، كما أن هناك أمور لا يتورع عنها ولا يستحب تركها بل ولا يستحب السؤال عنها بل وقد يكره
- السؤال الآن كيف نفرق بين الأمور التي تحتاج الاحتياط والبحث والتورع والأمور التي لا تحتاج لهذا؟

الجواب أننا نعرف هذا بفعل النبي ﷺ وفهم الصحابة رضي الله عنهم من فهم النبي ﷺ وتعلم منه وعرفوا روح الدين...

أمثلة لما يتورع عنه ويترك:

1. إذا كانت الشبهة في المطعم أو المكسب أو المشرب، فيستحب الترك، وكلما زادت الشبهة قوة زاد استحباب الترك، ويجب الترك عندما يغلب الظن
2. الأبطاخ، ففي الحديث أن رجلاً سأل النبي ﷺ أريد أن أتزوج من امرأة قيل أننا رضعنا من امرأة واحدة، فقال ﷺ "كيف وقد قيل" (1)

أمثلة لما لا يتورع عنه ولا يترك:

1. إذا نوى شخص الصيام غداً فيأكل ويشرب حتى يسمع الأذان ولا يجب أن يدق وينظر في الساعة خصوصاً أن المؤذن لا يعرف عنه الإهمال أو التأخير، فهنا لا يطلب التورع والاحتياط الشديد
2. الماء (ليس المقصود ماء الشرب لكن المقصود الماء من حيث نجاسته) فمثلاً لو مرَّ شخص على حوض ماء في الطريق، فمن المحتمل أن تكون الكلاب تشرب منه، فهل نسأل ونتأكد؟ الجواب لا، كذا لو سقط ماء علي في الطريق فلا يستحب السؤال عن طهوريته أم نجاسته، وعندما سقط ماء على الإمام أبي حنيفة في الطريق فسأل ياصاحبة الماء هل نجس ماءك شيء؟ فقالت نجس ماءك، فالأصل في الماء الطهارة، أما إذا ظهر على أوصافه تغير واضح يدل على نجاسته أو سئل عنه - وهذا مخالف للسنة - وعلم بنجاسته أو أخبر بنجاسته، يطلب منه حينئذ التورع عن الماء وتركه ويجب تنظيف الثياب منه، أما لو شك فقط ولم يعلم يقيناً ولم يظهر على الماء أهو ماء مجاري مثلاً أم ماء طاهر فيهمل الشك حينئذ ولا يسأل عنه. وعموماً الشبهة إما:

1. شبهة عامة: وهي موجودة دائماً فتهمل مثل الحزارين في بلاد المسلمين (فقد يكونون ممن يسب الدين مثلاً)
2. أن يظهر دليل ضعيف أو قرينة ضعيفة، وهنا الورع أفضل ويستحب الترك
3. يغلب الظن بالحرام، وهنا يترك وجوباً إلا عن ضرورة فـ (الضرورة تبيح المحظورة)

<sup>1</sup> وعن أبي سبيعة - بكسر السين المهملة وفتحها - عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأنته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي قد تزوج بها. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني. فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسأله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف وقد قيل؟» ففارقها عقبة ونكحت زوجاً غيره. رواه البخاري.   
 [إهاب] بكسر الهمزة، [عزيز] بفتح العين وبزاي مكررة.



- الشبهة في إدراك الحكم: وفيها لا يعرف العلماء بالدليل الواضح القاطع - مع وجود الأدلة - هل هذا الشيء حرام أم حلال وذلك لأن الأدلة فيها احتمالات
- مثال: الاختلاف في عورة الرجل هل هي من السرة إلى الركبة أم العورة المغلظة فقط (الفرجين)؟ وبهذا تكون المنطقة من أسفل الفرج إلى الركبة فيها خلاف وسبب الخلاف أن بعض الأدلة تدل على ذلك والبعض الآخر يدل ذاك وهذه شبهة حكمية لها أحكامها وطريقة التعامل معها
- أحكام التعامل مع الشبهة في إدراك الحكم: هي من حكمة المولى ﷺ اختلاف العلماء ويدور السؤال إذا اختلف العلماء في الحل والتحريم فماذا نصنع؟

نحن لا نعلم حكم الشيء على وجه اليقين، وهذا على وجهين:

■ قد يكون في الأمر، مثل غسل الجمعة هل هو واجب أم مستحب؟

■ قد يكون في النهي، مثلاً هل أمر معين حرام أم مكروه؟

هذا لا يمنع أن هناك أمور يعلم حكمها يقيناً مثل الصلوات الخمس، فهذه مقطوع بوجوبها ولا شبهة فيها.

ماذا نفعل في هذه الشبهة؟ هذا على حسب المشتبه عليه، وهم على ثلاث أنواع:

1. عالم مجتهد: يدرك الدليل ويستطيع الاجتهاد واستنباط الحكم من الأدلة
2. طالب علم: هذا تعلم بعض القواعد والعلوم ولديه نوع من الإدراك للأدلة وفهم قاصر للدليل، فإن كان فهمه كامل لكان عالماً
3. عامي: لا يعرف من العلم غلا ما شاع وانتشر، ولا يغرف الأدلة ولا يفهمها ولا يستنبط ولهذا يقلد ويتبع

الكلام على العالم المجتهد وطالب العلم يؤجل الآن.

العوام، وهم إما :

1. متمذهب: أي ملتزم بمذهب

2. غير ملتزم بمذهب

أولاً: المتمذهب:

وفيه يقول مثلاً أنا شافعي آخذ بآراء علماء الشافعية وأعرف مذهبهم وألتزمه كله بعزائمه ورخصه، ولا يقول أن هذا المذهب هو السنة بعينها لأننا لو علمنا السنة يقيناً ما كنا اختلفنا، فمثلاً قال الشافعية الترتيب ركن في الوضوء فلو خالفت الترتيب بطل الوضوء، كما قالوا الموالاة ليست ركناً بل مستحب، فلو تركت أجزأ الوضوء، فحينئذ لو قال بعض العلماء أن الترتيب ليس ركناً لا يهتم، ولو قال بعض العلماء أن الموالاة ركن لا يهتم

مسألة: هل يجوز التمسك بـ؟ نعم يجوز عند جمهور أهل العلم، على أن يأخذ بالمذهب كله رخصه وعزائمه، ولا يقول أنه السنة بعينها ولا يتعصب لمذهبه، وحتى إن أخطأ العالم فللمقلد أجره كاملاً لأننا أمرنا أن نعمل ما يمكننا، والعالم لم يكن قاصداً للخطأ فهو إن اجتهد وأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر، ونحن لا نستطيع التمييز.

ويجوز للمتمسك بـ أن يخالف مذهبه في حالات منها:

1. أن يكون الرأي الآخر هو الأحوط (الاحتياط)<sup>(1)</sup>
2. ألا يجد من يفتيه من علماء مذهبه (الاضطرار)<sup>(2)</sup>
3. أن يؤدي إلى زيادة التعبد<sup>(3)</sup>

ثانياً: غير ملتزم بمذهب:

لماذا هذا غير ملتزم بمذهب؟ السبب الرئيسي في هذا الزمان أنه لا يوجد علماء يدرسون المذاهب ويعرفونها والجهل منتشر، أما في الأزمان السابقة فكانت كل منطقة فيها من يدرس مذهب معين، ويكون معروفاً فيقصد ويؤخذ منه العلم، وإن وجد مثل هذا الآن فلا مانع من التمسك به. ماذا يفعل غير المتمسك في الشبهات؟ له حالتان:

1. أن يستفتي من وجد من العلماء على أي مذهب كان ويعمل بفتواه، وعلى العالم أن يراعي حال مستفتيه

2. إن وجد أكثر من عالم والفتاوى مختلفة: يقول شيخ الإسلام في كتاب المسودة (الخروج من الخلاف أحمد من الوقوع فيه) ومعنى كلامه أن تخرج من الخلاف أي أن تحتاط تأخذ بالأحوط.

مثال: أن يقسم الإنسان أنه لم يفعل كذا لكن فعله -أي يمين غموس- قال الشافعي: تلزمه كفارة يمين مع عظم الذنب، وقال جمهور العلماء هذه يمين غموس تغمس صاحبها في النار إلا أن يستغفر ويتوب ويكثر من الصالحات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ولا تكفيه الكفارة، فماذا يفعل الآن؟ الجواب أنه يأخذ بالرأين معاً أي يخرج من الخلاف فيتوب ويستغفر ويعلم أن ذنبه لا تكفيه الكفارة ومع هذا يفعل الكفارة لأن أحد القولين أوجب الكفارة مع التوبة

مثال: عندما يذهب شخص للعمرة ويؤديها، لكن قيل ليس للعمرة طواف وداع وقيل أيضاً أن العمرة أحد التوسكين فيجب طواف الوداع مثل الحج، فماذا يفعل الآن؟ الجواب أن يطوف للخروج من الخلاف قال تعالى ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ولم يقل (يطوفوا)

<sup>1</sup> راجع الحالة الخاصة رقم (3)

<sup>2</sup> راجع الحالة الخاصة رقم (4)

<sup>3</sup> راجع الحالة الخاصة رقم (5)

يوجد مسائل لا يمكن الخروج من الخلاف فيها.

مسألة: هل يجوز سؤال أكثر من عالم؟ لا يحرم، لكن لا يجوز إذا كان هذا بغرض الترخيص.

3. الأخذ بقول جمهور العلماء لأن قولهم أقرب لأن يكون هو الصواب<sup>(1)</sup> - حتى ولم كان هو

الأسهل -، قال شيخ الإسلام في المسودة: (الأخذ برأي الجمهور أولى من الأخذ برأي

المخالف)، لاحظ: لا يجوز الأخذ بالقول الشاذ لأنه الأسهل، فقد قالوا من تتبع رخصة (زلة)

كل عالم فقد تزندق أو كاد، والزندقة: هي قول أو فعل يخرج عن الإسلام مع التسمية

بالإسلام حتى تقام عليه الحجة عند الحاكم ويُحكم عليه بالكفر أو غيره.

#### حالات خاصة:

1. يجوز الأخذ برأي المخالف وعدم الأخذ بالأحوط وعدم الخروج من الخلاف إن كان في

الأخذ بقول المخالف تيسير للمشقة وأدى ذلك إلى زيادة التعبد مع عدم وجود كراهة أو

نكارة، أما إن كان لا يؤدي إلى زيادة التعبد فيأثم.

لكن طلاب العلم يأخذوا بالعزائم فالأخذ بالأيسر فل كبار السن أو الضعفاء خصوصاً إن غلب

الظن أن إن أخذ بالأحوط وكان أصعب ترك العبادة، وهذا مستنتج من قاعدة (المشقة تجلب

التيسير)

مثال: أحد الأشخاص مريض في قدمه، ونصح بعدم غسلها بالماء لئلا يضر قدمه، وهذا الضرر

غير يقيني، فيمكن غسلها لكنه يشق عليه لأنه مثلاً يحتاج عند غسلها إلى وضع مراهم وأدوية،

فهنا يجوز لهذا الرجل المسح على الشراب - مع أنه لا يجوز عند جمهور العلماء - والجوارب غير

الشراب، فالجوارب تكون جلد من أسفل القدم وحكمها أن المسح عليها يجوز عند جمهور

العلماء

مثال: بعض الحالات المرضية لا تكتمل طهارتها في معظم الأوقات والجمهور على أنه لا يصلي إلا

الفرائض والبعض على أن يصلي النوافل أيضاً، فما العمل؟ الجواب أنه يجوز له أن يصلي الفرائض

والنوافل لأن هذا يؤدي إلى زيادة التعبد، لكن نسأل عن مثل هذا قبل العمل

2. إن حدث خلاف في أمر يقول البعض واجب ويقول البعض حرام، فهنا لا يمكن الأخذ

بالأحوط، لأنه إذا فعل الواجب عند البعض فقد فعل محرماً عند الآخرون، وإن ترك الحرام

عند البعض ترك واجباً عند الآخرون

مثال: أن يحج شخص متمتعاً - أي يحرم ويعمل عمرة ثم يتحلل ثم يحرم مرة أخرى ويحج - فهذا

عليه أن يذبح هدي واجب وهو شاة، فهل تأكل منها أو لا تأكل؟ حرام الأكل منها هو قول

الشافعية، وقال الجمهور يجب الأكل منها، فهنا ننظر في المرجحات وقول الجمهور بالوجوب

<sup>1</sup> راجع الحالة الخاصة رقم 6

فنعلم به إذ أنه نقل أن النبي ﷺ إنما أكل من أكبادها، وهنا يوجد رأي للجمهور، أما إن كان الخلاف غير سائع والذين قالوا بالرأي الأول مثل الذين قالوا بالرأي الثاني؟ الجواب أننا هنا نفعل ما فيه المصلحة- وهذه المسألة خاصة بطالب العلم.

3. لو التزم شخص بمذهب آخذاً بعزائمه ورخصه، وأراد الأخذ بالأحوط في مسألة ما مخالفة لمذهبه فيجوز- وتسمى الأخذ بالأحوط.

مثال: إن كان شافعيًا يمكنه العمل بأن الموالاة واجبة على غير قول الشافعية بالاستحباب 4. أن يكون شافعيًا ويريد معرفة حكم مسألة معينة ولم يجد عالمًا يفتيه على مذهبه ووجد عالمًا حنبليًا مثلاً لا يعرف قول الشافعية في هذه المسألة، فيجوز له حينئذ سؤاله والعمل بمذهب الحنابلة في هذه المسألة

5. يجوز أن يأخذ بغير مذهبه وإن لم يكن القول الأحوط إن أدى ذلك إلى زيادة التعبد مثال: كأن يكون أحد الأشخاص شافعي المذهب، ولم يجز الشافعية المسح على الجورب، فيجوز له أن يأخذ بمذهب الحنابلة في هذه المسألة فقد أجازوا المسح على الجورب، إذن في هذا زيادة التعبد، إما إن كان لتقليل التعبد فلا يجوز.

لاحظ: أنه قلل التعبد لأن غسل الرجل أفضل من المسح على الجورب، لكن التعبد زاد في الأصل لأن سوف يصلي، فهذا ليس مفراط

لاحظ: الحالة الخاصة رقم (1) في حق غير المتمذهب، أما رقم (5) في حق المتمذهب 6. إذا كان الرأي المخالف للجمهور أكثر إقناعاً مثل رأي الشيخ العثيمين في المسح على الجورب فهل يجوز الأخذ به؟ الجواب أن هذه مسألة متعلقة بطالب العلم وليس العامي لأن العامي الأسهل عليه هو المقنع لديه فهل يعتد بإقناعه؟ قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عين كيلة وعين السخط تبدي المساوي

فطالب العلم يعرف بعض القواعد والأدلة وأصول الفقه واللغة والسنة، ومع كونه لا يجتهد غلا أنه يرجح بالدليل ويعمل بالراجح على شرط أن يكون قاله عالم معتمد لأن ترجيح طالب العلم واستنباطه لا يعمل به لأنه لم يبلغ الأهلية الكاملة التي يستطيع منها أن يستنبط من الأحكام من الأدلة، والأهلية هذه يفهم منها القرآن والسنة فلا بد أن يعرفها

مثال: أحد الأشخاص حنبلي المذهب وجد أن أدلة مذهب الشافعية في مسألة معينة أرجح من الحنابلة فيجوز له العمل بقول الحنابلة في هذه المسألة، خصوصاً إن توافر لديه مرجح للدليل، كأن يقول به الإمام مالك، كما يجوز بمرجح واحد.

سؤال: كيف نرد عل من يقول أن الدين يسر ونأخذ بالأسهل في كل شيء؟  
الرخصة لها معنيان:

1. ترك واجب: مخالفة الأصل في حالة معينة أجازها الله تعالى واتفق عليها العلماء، كالصلاة قصرًا في السفر والإفطار في رمضان للمريض، فهذه رخص جاءت على خلاف الأصل ولا خلاف فيها (أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)
2. أن يقول العلماء بحرمة أمر ويقول واحد بحله، فهذا رخص في الأمر وهذا تصوره، ولا يحب الله تعالى أن يؤتى هذا الأمر، فلم يقل أحد بتتبع هذه الرخص ولم يقل أحد بالأخذ بالأسهل من كل مذهب لأن هذا يضيع الدين
- فمثلاً: قال الشافعية الموالاة ليست ركن، وقال المالكية الترتيب ليس ركن، وقال الشيعة المسح على الرجلين وقال الأحناف النية ليست مهمة وقال الصوفية الصلاة ليست مهمة طالما جاءك اليقين، (فمن تتبع رخصة كل عالم فقد ترندق أو كاد)
- ولشيخ الإسلام مبحث جيد في الفتاوى الكبرى وقال (إن تتبع الآراء بالهوى حرام باتفاقهم)، فإذا أخذ بالأسهل يكون على حسب الأصلح للدين أو الراجح من جهة الدليل أو ما عليه الجمهور
- سؤال: هل الالتزام بمذهب أفضل أم عدم الالتزام؟
- لن يظهر هذا في زمننا بكثرة لأنه لا يوجد علماء كثير على المذاهب، أما لو وجد المذاهب وانتشر علماءها فيوجد حالتين:

1. إن كان شخص ضعيف الإيمان يبحث عن الرخص فنقول له الأفضل أن يلتزم بمذهب وتعمل به وتأخذ بعزائمه ورخصه
2. وإن كان ذا عزيمة (كأن يقال له الموالاة غير واجبة فيقول سأفعلها) فهذا يستفتي من يشاء ولا يلزمه التزام مذهب

قوله صلى الله عليه وسلم: ((فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)) أي طلب براءة دينه وسلم من الشبهة. وأما براءة العرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعهم في الإثم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم))..

- استبرأ لدينه: أي طلب براءة دينه وسلم من الشبهة (وهذا بينه وبين ربه تعالى)
- استبرأ لعرضه: فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعهم في الإثم
- حديث: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم)) حديث ضعيف
- وعن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ معتكفا فأتته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبي، فمر رجلان من الأنصار رضي الله عنهم فلما رأيا النبي

صلى الله عليه وسلم أسرعاً، فقال صلى الله عليه وسلم: <على رسلكما إنها صفة بنت حبي> فقالوا: سبحان الله يا رسول الله. فقال: <إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً أو قال شيئاً> متفق عليه، فالتى ﷺ وإن كان لا يتصور عليه المعصية فهو ﷺ لا يشتهى إلا في الحلال فقط فهو مأمون يجوز له مالا يجوز لنا من خلوة النساء و...، فقد كان ﷺ أملك الناس لأربه، لكنه يعلمنا ﷺ أن نوضح الأمر للناس في مثل هذه المواضع استبراءً للعرض

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فرب سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً، وفي صحيح الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف)) وذلك لئلا يقال عنه أحدث.

— فقد يكون عندك عذراً لا يعرفه، بل وقد تعلمه لكن لا يصل إليه، بل لا يفهمه أصلاً

قوله عليه الصلاة والسلام: ((فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام)) يحتل أمرين: أحدهما أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام. والثاني: أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام كما يقال: المعاصي يريد الكفر. لأن النفس إذا وقعت في المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها، قيل: وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. [آل عمران: 112]. يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء.

— فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام: تحتل معنيان:

1. أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام
2. أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام كما يقال: المعاصي يريد الكفر. لأن النفس إذا وقعت في المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها، قيل: وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. [آل عمران: 112]. يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء

وفي الحديث: ((لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده))<sup>(1)</sup>، أي يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة

— نصاب السرقة: أي الحد الذي إذا بلغه مقدار ما سرقه السارق تقطع يده، ولا تقطع على ما دون ذلك، وقيمه تعادل ربع دينار =  $\frac{1}{16}$  جرام من الذهب، فتلك البيضة والحبل وإن كانوا لا يبلغون النصاب، لكن الشاهد أن البداية تكون صغيرة هكذا ثم التدرج، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

قوله ﷺ : (كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ)...

...والحمى ما يحميه الغير من الحشيش في الأرض المباحة فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً عن الحمى .

— الحمى: ما يحميه الغير من الحشيش في الأرض المباحة، فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً عن الحمى، أي يأتي شخص على أرض مباحة ويحاط حول مكان ويزرع فيه أو يرمى فيه ، فهذا لا يجوز تعديده

واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به ، فالفرج محرم وحماه الفخذان لأنهما جعلاً حريماً للمحرم ، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم ، فيجب على الشخص أن يحتسب الحريم والمحرم، فالحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم .

— مثال: الأصل في التحريم أن يحرم الفرج، إذن يجب ستر الفرج، لكن إذا ستره وحده قد يتكشف، فيأتي الشرع ويجعل للفرج (حريم)-زائد عن الفرج-، فإذا تكشف هذا الحريم ظل الفرج مستوراً، وهذا الحريم إنما حرم لغيره وليس لذاته

لذا يقول بعض العلماء العورة من السرة للركبة وليس الفرج فقط، فقل إن هذا التحريم من باب تحريم الحمى حول المحرم

— مثال: مكة بلد محرمة أي لا يحل فيها الأذى وحتى ما قد يحل خارجها لا يحل فيها، فلو أنك رأيت طائراً في مكة فلا يجوز صيده هناك وقد يجوز صيده خارجها لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ حتى إن كان طيراً.

ومن أجل تحريم مكة جعل الله ﷻ حولها أماكن تحيط بها من كل جانب تسمى الحرم، والحرم ليس مكة فقط بل ما حولها أيضاً وهذا من باب الاحتياط للمحرم الأصلي

— كذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم وهو الزنا

قوله صلى الله عليه وسلم : (( أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً )) أي في الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح، وإذا طمحت طمحت الجوارح وإذا فسدت فسدت الجوارح .

— إذن ففساد الظاهر يدل على فساد الباطن

قال العلماء : البدن مملكة والنفس مدينتها، و القلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدام والقوى الباطنية كضياح المدينة، والعقل كالوزير المشفق الناصح به ، والشهوة طالب أرزاق الخدام، والغضب صاحب الشرطة، وهو عبد مكار خبيث، يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل، ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح والقوة المخيلة في مقدم الدماغ كالخازن، والقوة المفكرة في وسط الدماغ، والقوة الحافظة في آخر الدماغ، واللسان كالترجمان، والحواس الخمس جواسيس، وقد وكل كل واحد منهم

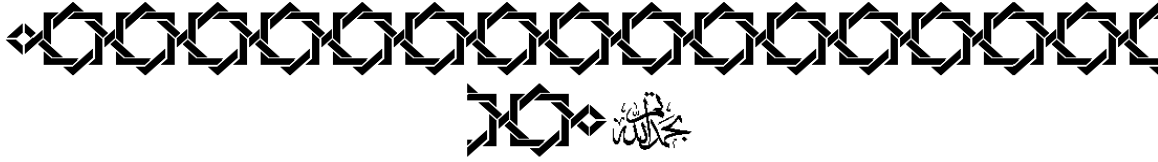
بصنيع من الصناعات، فوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، وكذلك سائرهما فإنها أصحاب الأخبار، ثم قيل: هي كالحجبة توصل إلى النفس ما تدركه، وقيل: إن السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس، فالقلب هو الملك فإذا صلح الراعي صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية، وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضى بالمقدور، وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين، عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم.

- الشهوة طالب أرزاق الخدام أي للجوارح القوة المخيلة: التي تتخيل وتتصور
- القوة المفكرة: القدرة التحليلية وهي التي تحلل ما يُتصور في أول الدماغ
- القوة الحافظة: أي التي تحفظ المعلومات، فمثلاً أنت تسمع (تصور) فتحلل ما سمعت ثم تخزنه
- اللسان ترجمان: أي يترجم ما في النفس جواسيس: لمعرفة ما يدور حولهم
- الحجبة: جمع حاجب، ويعرف من يدخل ويخرج للملك
- الطاقات: جمع طاقة، وهي فتحة في جدار أو ما شابه، طاقة القدر
- يحدث الصلاح بـ :

1. اكتساب صفات واجبة ومستحبة

2. خلو عن الصفات المحرمة والمكروهة

3. عدم التوسع في المباحات





## الحديث السابع

عَنْ أَبِي رُقَيْةَ تَيْمٍ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: 55].

التعليق على شرح الإمام النووي - رحمه الله: <sup>(1)</sup>

قوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له . وقيل النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيها يتحراه من صلاح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيها يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب ، وقيل : إنها مأخوذة من نصحت العسل ، إذا صفيته من الشمع ، شبهوا تخلص القول من الغش بتخلص العسل من الخلط .

- حيازة: يحصل عليه ويتسلط عليه
  - الحظ: النصيب، ويطلق في الغالب على النصيب الحسن ، وهو ما يصيب المرء ويناله وكله أمر من عند الله .
  - نصحت الثوب أي خطته
  - يتحرى: يتفقد ويبحث عن الشيء
  - النصيحة: كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح له وهي لا تقتصر على مجرد ذكر العيوب لتجنب ولا توضيح طريق الهدى لاتباع ولا النقد ولكنها كلمة جامعة؛ حيازة كل خير للمنصوح له .
  - إذن قول أنى أريد أن أنصح لك أي أنى أريد أن أجمع لك كل خير سواء باللسان (الدعوة والدعاء له) أو الجوارح (المساعدة والإعانة) ، وكذا أداء الحق والإحسان من النصيحة وهكذا ...
  - أهم وأفضل النصيحة هو النقد ومن ينتقد يجب أن يسعد لأنه سيكمل ويزداد وكما قيل «رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا»
  - إذن النصيحة هي ؟
- كلمة جامعة معناها حيازة الحق المنصوح له
- سد الخلل : ( كما ينصح المرء الثوب ليسد خلله أي دفع العيب ورفع الخرق ) ( وهذا من حيازة الحظ له )
- التصفية من الشوائب ( وهذا من حيازة الحظ له )

قال العلماء : أما النصيحة لله تعالى فمعناها ينصرف إلى الإيثار بالله

- أي فيما هو في شأن الرب سبحانه وتعالى فهي فيما يختص بالكمال لله عز وجل .
- قيل الإيثار بالله وهو في هذا ينفع نفسه وفي الحقيقة فإن الإنسان ينفع نفسه في كل شيء حتى وإن كان الأفراد يتفعلون . فالنصيحة عائدة بالثواب من الله عز وجل للناصح ، فالله سبحانه وتعالى لا ينتفع بشيء ولكن ينصحنا بها ينفعنا .

(1) هذا الدرس لم يسجل ، وهذا الشرح مجرد تسجيل لأهم الملاحظات، لذا فأسلوب الكتابة اجتهاد من كاتبه.

## الحديث السابع - الأربعين النووية

... أما النصيحة لله تعالى فمعناها ينصرف إلى الإيمان بالله ، ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع أنواع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، ومودة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته ، وشكره عليها ، والإخلاص في جميع الأمور ، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها ، والتطلف بجميع الناس ، أو من أمكن منهم عليها ، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ، والله تعالى غني عن نصح الناصحين .

- نفي الشريك: نفى الاعتقاد بوجود شريك له منها في الحقيقة وهنا لأنه ليس له شريك أصلاً سبحانه .
- ترك الإلحاد في الأسماء: بآلا نشبه ولا نأول ولا نعطل
- الجلال: العظمة
- الحب والبغض في الله ؟
- إن الحب في الله هو من الخير ويعود بالنفع على الفرد وفي الحديث القدسي «وجببت محبتي للمتحابين في وللمتجالسين في والمتبازلين في والمتزاورين في»<sup>(1)</sup>
- الذين تبغضهم في الله لا يخلو قلبك من الإشفاق عليهم ورجاء هدايتهم فكلنا أهل نقص. والإنسان ذاته قد يشتهي المعاصي ولكن يبغضها من ناحية أنها تجلب سخط الله سبحانه وتعالى وتبعده عن الله عز وجل .
- (الدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة) المقصود بها الدعوة .
- (التطلف بجميع الناس) يدخل في هذا الفاسق أما الكافر فله حالين:
- أ- إن كان بيننا قتال إذن فلا مودة ولا تلتطف "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين"
- ب- أما إذا كنا ندعوه ولسنا في مقام معاداة فتتطلف معه "فقلوا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يغشى"
- هذه الأعمال كلها في شأن الله سبحانه وتعالى وإن كان النفع كله للإنسان .

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى : فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الناس ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حتى تلاوته ، وتحسينها ، والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين ، وتعريض الطاعين والتصديق بها فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتكفير في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمشابهة ، والبحث عن عموميه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته .

(1) «عن أبي إدريس الخولاني - رحمه الله - قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتي براق الثنايا وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه ، فقيل : هو معاذ بن جبل - رضي الله عنه - فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ، ووجدته يصلي فانتظرت حتى قضى صلاته ، ثم جئته من وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إني لأحبك . فقال : الله . فقلت : الله . فقال : الله . فقلت : الله . فأخذني بحبوة ردائي فجبذني إليه فقال : أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في ، والمتبازلين في» حديث صحيح، صححه ابن عبد البر والنووي وابن القيم والألباني رحمهم الله

## الحديث السابع - الأربعين النووية

- لا يشبهه شيء من كلام الناس:
- ولا يقدر على مثله أحد من الخلق: ثم تعظيمه
- وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة:
- والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين:
- والتصديق بما فيه
- والوقوف مع أحكامه
- وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكير في عجائبه
- والعمل بمحكمه، والتسليم لمشابهه
- والبحث عن عمومته وخصوصه، وناسخه ومنسوخه
- ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته:

وأما النصيحة لرسوله ﷺ: فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه ونصرتة حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه وموالاته من ولده، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسننه، وبت دعوته ونشر سنته، ونفس التهم عنها، ونشر علومها، والفقه فيها، والدعاء لها، والتألف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها. والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به ونهيهم وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم.

قال الخطابي: ومن النصيحة لهم، الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: في هذا الحديث دليل أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول.

قال: والنصيحة فرض يجزى فيه من قام به، يسقط عن الباقي، قال: والنصيحة واجبة على قدر الطاعة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي أذى فهو في سعة والله تعالى أعلم.

فإن قيل ففي صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له»، وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقاً، ومفهوم الشرط حجة في تخصيص عموم المنطوق. فجوابه: يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية ككساح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك، والأول يحتمل بعمومه في الأمور الدينية التي هي واجبة على كل مسلم، والله تعالى أعلم.

- إن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً

- إن الدين يقع على العمل كما يقع على القول

## الحديث السابع - الأربعين النووية

- إن النصيحة واجبة على قدر الطاقة . فإذا علمت بأمنك من الأذى وأن المنصوح يقبل النصيح وجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- حديث الرسول ﷺ إذا إستنصح أحدكم أخاه فلينصح له ظاهره تعليق الوجوب بالإستنصاح ( أي يكون النصيح واجبا إذا طلب النصيح ) ، الإستنصاح على وزن إستفعال ، أي طلب الشيء ، اس ت في أول الفعل تفسد الطلب كالاستغفار أي طلب المغفرة .
- الحديث القدسي " يا ابن كلكم ضال إلا من هديته فإستهدوني أهدكم ...
- يقول الإمام النووي جامعا بين الحديثين: حالات وجوب النصيحة :-
- الأمور الدينية: النصيح واجب سواء طلب النصيحة أم لا .
- الأمور الدنيوية: النصيح واجب إذا طلب منك النصيحة بشرط ألا نضيع واجبا آخر أهم لك أو تؤدي إلى حصول مكروه أما إذا كان عندك فراغ ووقت تطيعه وتعينه .

### أسئلة وتعليقات:

- التلطف مع الناس هو نصيحة لله لأنه يكون من باب الدعوة أو طاعة لله . عموماً فإن كل ما ذكر من نصيحة هو نصيحة لله تعالى أيضاً لأنه في حق الله أيضاً .



## الحديث الثامن

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى".  
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 25]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 22].

شرح النووي:

قوله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت الخ..)) فيه دليل على أن مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب.  
قوله صلى الله عليه وسلم: ((فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم))، فإن قيل: فالصوم من أركان الإسلام وكذلك الحج ولم يذكرهما، فجوابه: أن الصوم لا يقاتل الإنسان عليه بل يحبس ويمنع الطعام والشراب، والحج على التراخي، فلا يقاتل عليه، وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الثلاثة لأنه يقاتل على تركها ولهذا لم يذكر الصوم والحج لمعاذ حين بعثه إلى اليمن، بل ذكر هذه الثلاثة، خاصة..  
وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إلا بحق الإسلام)) فمن حق الإسلام فعل الواجبات، فمن ترك الواجبات جاز قتاله كالبغي، وقطاع الطريق، والصائل، ومانع الزكاة، والممتنع من بذله الماء للمضطر والبهيمة المحترمة. والجاني والممتنع من قضاء الدين مع القدرة، والزاني المحصن، و تارك الجمعة والوضوء.  
ففي تلك الأحوال يباح قتله وقتاله، وكذلك لو ترك الجماعة، وقلنا إنها فرض عين، أو كفاية.  
قوله صلى الله عليه وسلم: ((و حسابهم على الله)) يعني من أتى بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة عصم دمه وماله، ثم إن كان فعل ذلك بنية خالصة صالحة فهو مؤمن، وإن كان فعله تقية وخوفاً من السيف كالمنافق فحسابه على الله، وهو متولي السرائر، وكذلك من صلى بغير وضوء أو غسل من الجنابة، أو أكل في بيته وادعى أنه صائم، يقبل منه وحسابه على الله عز وجل والله أعلم.

الشرح:

قوله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت الخ..)) فيه دليل على أن مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب.  
- في الحديث: مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب، إذن قتال الناس واجب بإجماع الأمة حتى يشهدوا...  
الحديث

- قال ﷺ: أمرت أن أقاتل...، فمطلق الأمر كصيغة (افعل)<sup>(1)</sup> مثلاً تدل على الوجوب، مثل قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ و ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ و ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾
- صلاة العيد واجبة في حق الرسول ﷺ فقط، فالأمر قد يخص الرسول ﷺ فقط كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ...﴾ الإسراء، ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الأحزاب، فهذا الأمر مخصص للرسول ﷺ<sup>(2)</sup>
- في ختام سورة الماعون قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرْأَوْنَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)﴾، ثم في سورة الكوثر التي تليها قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ أي فصل يا رسول الله أنت لله مخلصاً له وحده وانحر وتصدق وأهدي من ما نحررت للناس وأطعم أهلَكَ، فهذا أمر من الله تعالى لرسوله بمخالفة من ذكرهم ﷺ في معرض الذم في آيتي سورة الماعون
- إذن الأمر الخالي عن القرينة يفيد الوجوب، ومطلق الأمر كصيغة (افعل) وصيغته كـ (أمركم) كقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾
- مثال آخر: قال ﷺ (صلوا قبل المغرب ركعتين - ثلاث مرات -... لمن شاء)، قوله ﷺ (لمن شاء) صرفت الأمر عن الوجوب وبينت أنه مستحب، والتكرار أفاد تأكيد الاستحباب<sup>(3)</sup>
- مثال: قوله ﷺ (في الغنم السائمة زكاة)، هنا كلمة الغنم أفادت أي غنم (مطلق) ولكن (الغنم السائمة) أفادت أن الغنم المقصودة هي الغنم التي ترعى في المراعي التي تُزرع بماء المطر فصار الأمر (مقيداً وغير مطلق)
- الغنم التي تُعَلَف ليس عليها زكاة، والغنم التي تعلف للتجارة فعليها زكاة التجارة<sup>(4)</sup>
- الأمر في هذا الحديث للنبي وأمته، وليس مما أختص الله ﷺ به نبيه ﷺ
- الناس: كل الناس ماعدا أهل الكتاب لآية سورة الممتحنة وبقية الأحاديث، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)﴾، ويسمى أهل الكتاب الذين يعيشون في دار الإسلام وبيننا وبينهم ذمة أو عقد وميثاق بشروط منها: ألا يؤذوننا ولا يظهرون شعائهم ويدفعون الجزية ولا يحاربون معنا ولا نقاتلهم، بأهل الذمة
- فهذا يوجد تخصيص للعام وهو الناس، والتخصيص: قصر الحكم على بعض أفراد العام<sup>(5)</sup>، والمعنى أن المسلمون مأمورون بمقاتلة أناس دون غيرهم، أي تحب المقاتلة لبعض الناس وليس كل الناس

<sup>1</sup> أصول فقه: مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب، فمطلق الأمر يقتضي الوجوب- ويسمى الأمر الخالي عن القرينة- ما لم تأت قرينة فتصرفه عن الوجوب وصيغته أيضاً تفيد الوجوب

<sup>2</sup> الأصول: الأوامر عامة للرسول ﷺ ولأمته إلا إذا جاءت قرينة تفيد أن الأمر خاص بالنبي ﷺ فقط

<sup>3</sup> أصول فقه: كل عام في الشرع مخصص وكل مطلق مقيد

<sup>4</sup> فقه: زكاة الغنم

<sup>5</sup> أصول الفقه: التخصيص يفيد قصر الحكم على بعض أفراد العام

قوله صلى الله عليه وسلم ((فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم)) ، فإن قيل : فالصوم من أركان الإسلام وكذلك الحج ولم يذكرهما ، فجوابه : أن الصوم لا يقاتل الإنسان عليه بل يحبس ويمنع الطعام والشراب ، والحج على التراخي، فلا يقاتل عليه ، وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الثلاثة لأنه يقاتل على تركها ولهذا لم يذكر الصوم والحج لمعاذ حين بعثه إلى اليمن ، بل ذكر هذه الثلاثة ، خاصة ..

- يقاتل الناس حتى: ينطقوا بالشهادة وقيم الصلاة تاركها ويؤتي الزكاة مانعها ولا يقاتلون على تركهم الصيام أو تركهم الحج، وهذا القتال واجب بإجماع الأمة<sup>(1)</sup>
- حارب سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قسمين من الناس أحدهم ارتد عن الإسلام والآخر منع الزكاة<sup>(2)</sup>
- القتال يكون بأمر الحاكم فقط، ولا يجوز لأحد أن يقاتل إلا تحت إمرته، ونقاتل معه عندما يرفع راية القتال لأجل الله عز وجل<sup>(3)</sup>

### الزكاة:

- أما الزكاة فهي حق الفقير، فلا بد من أن يأخذها الحاكم عنوة من يد الغني إذا امتنع عن أدائها ويردها على الفقير كما يأخذ الحق عنوة من المغتصب ويرده إلى صاحبه

### الصلاة:

- أما الصلاة فواضحة صريحة ليس لأحد علة في تركها فكان عليها القتال، ولأنها من أعظم الحرمات فقد وردت أحاديث كثيرة في التشديد على تاركها منها قوله صلى الله عليه وسلم : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »<sup>(4)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ »<sup>(5)</sup>. فلا عذر لتارك الصلاة فإنه إن وجد مشقة شديدة في صلاة الجماعة في المسجد صلى في المنزل إن وجد مشقة شديدة في الصلاة واقفاً صلى جالساً أو راقداً حتى يصلي بزموش عينيه
- أيضاً قد يقال إن الصلاة أعظم حرمة فكل شعائر الإسلام عظيمة ولكن هناك من هو أشد حرمة، فقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ رضي الله عنه " رأس الأمر الإسلام، وعموده -أي عمود الإسلام- الصلاة وذروة سنامه الجهاد"<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> يقاتل الناس حتى: ينطقوا بالشهادة وقيم الصلاة تاركها ويؤتي الزكاة مانعها ولا يقاتلون على تركهم الصيام ولا تركهم الحج، وهذا القتال واجب بإجماع الأمة

<sup>2</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، رضي الله عنه ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر رضي الله عنه : كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها ، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحدّه ، وحسابه على الله ؟ » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . = والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلنهم على منعه ، قال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن رأيته الله قد شرخ صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . متفق عليه .

<sup>3</sup> من الأمور المنهجية: إقامة الحدود، وهي وظيفة الحاكم. والخروج للقتال بدون إذن الحاكم افتتات عليه ويأثم من يفعله إذ لا بد من الخروج تحت راية، وهذا الأمر فيه تفصيلات وتوسعات

<sup>4</sup> رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

<sup>5</sup> رواه مسلم

<sup>6</sup> عن معاذ رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النار ؟ قال : « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتخرج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل » ثم تلا : { تتجافى

— حديث بعث الرسول ﷺ لمعاذ ﷺ إلى أهل اليمن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب. [رواه البخاري رقم: 1496]

- من لا يصلي تدعوه أنت فقط بما يُظن أن يستجيب لك به<sup>(1)</sup>، ولا يقاتله أو يأمر بقتله إلا ولي الأمر
- تارك الصلاة يؤمر وينهى فإن لم يستجب يعرض أمره على الحاكم، فيؤتى به ويستتاب من قبل الحاكم، ويأتيه من يعظه ويفهمه، فإن أصر على ترك الصلاة قتله.<sup>(2)</sup>
- عندما يعلم ولي الأمر أن أحد الأشخاص لا يصلي فأولاً يستتيبه، وقد يقول مثل الكفار يصلي بغير ركوع مثلاً فلو علم الصحيح ثم جحد يقام عليه حد تارك الصلاة
- لو ترك الحاكم هذا نرجع إلى الله ونعلم أن هذا إنما وُلِّيَ علينا بذنوبنا وأفعالنا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (129) الأنعام
- لو ترك بلد من البلاد الصلاة يقاتل أهل هذه البلد بأمر الحاكم، كما حدث في عهد الصحابة عندما أرسل خالد بن الوليد ﷺ إلى بلد امتنع أهلها عن الصلاة، فلم يقدر عليهم، فأرسل الأسد المسور علي بن أبي طالب ﷺ

الحج:

- الواجب ينقسم إلى واجب على الفور وواجب على التراخي<sup>(3)</sup>
- الواجب على الفور يُفعل أول ما تسمع الأمر به، والواجب على التراخي هو الذي له مدة موسعة ومثال ذلك وقت صلاة الظهر يبدأ من زوال الشمس عن كبد السماء فتكون الصلاة واجبة على التراخي، إلى وقت صلاة العصر وهو وقت أن يكون ظل كل شيء مثله. أما لو تبقى من وقت صلاة الظهر ما يسمح فقط بأدائها أصبحت الصلاة حينها واجبة على الفور
- الحج لا يقاتل تاركه:<sup>(4)</sup>

جُئِبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ { حَتَّى بَلَغَ } يَعْمَلُونَ [ السجدة : 16 ] . ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرَأْسِ الْأَمْرِ ، وَعَمُودِهِ ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَالَ : « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ . وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمِثْلِكَ ذَلِكَ كُلُّهُ ؟ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ : « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : تَكَلَّمَ أَمُّكَ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

<sup>1</sup> قاعدة سلوكية وتربوية: نحن دعاة لا قضاة فنَدعو الناس على حسب المظنة لاستجابتهم وما يصلحوا به، وهذا يكون بالتقدير فقه: حكم تارك الصلاة

<sup>3</sup> أصول الفقه: الواجب ينقسم إلى واجب على الفور أو على التراخي

الواجب على الفور: الذي لا بد أن يفعل عندما تسمع الأمر به، والواجب على التراخي هو واجب موسع لكن تكون له نهاية

<sup>4</sup> فقه: حكم تارك الحج



1. عند الشافعية الحج واجب على التراخي، بمعنى أنه يستطيع تأجيل الحج حتى لو توافرت لديه الاستطاعة، ولهذا لا يقاتل الناس على ترك الحج

2. عند الجمهور الحج واجب على الفور إذا توافرت الاستطاعة، فهنا يمكن أن يكون سبب امتناع المقاتلة هو أن الحج هو الجهاد الأصغر فهو صعب وشاق لا يقدر كل الناس عليه فلو قوتل الناس على تركهم الحج لكذبوا وتعللوا بعدم الاستطاعة، لذا سدت الشريعة هذه الذريعة<sup>(1)</sup>

— وكما أن الزكاة هي حق الفقير يرده له الحاكم، فالحج حق الله عليك وإن لم تفعل يستطيع الله تعالى أن يأخذ حقه منك

**الصيام:**

— قيل الصوم لا يقاتل عليه تاركه بل يُحبس ويُمنع الطعام والشراب<sup>(2)</sup>، والصوم بين العبد وربّه فهو حق الله تعالى أيضاً

— تارك الصوم إما أنه جاحد له (أي منكر للصوم) أو يتركه تكاسلاً وتارك الصوم جاحداً له إما أنه

1. جاهل بفرضية الصوم، فهذا الجاهل يعلم أنه إذا ترك الصوم جحوداً يحكم عليه بالردّة

2. أو أنه متبع لهواه

وتارك الصوم تكاسلاً يوعظ بفضل الصوم و..و.

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إلا بحق الإسلام)) فمن حق الإسلام فعل الواجبات ، فمن ترك الواجبات جاز قتاله كالبغيّة ، وقطاع الطريق ، والصائل ، ومانع الزكاة ، والممتنع من بذل الماء للمضطرّ والبهيمة المحترمة . والجاني والممتنع من قضاء الدين مع القدرة ، والزاني المحصن ، وتارك الجمعة والوضوء . ففي تلك الأحوال يباح قتله وقتاله ، وكذلك لو ترك الجماعة ، وقلنا إنها فرض عين ، أو كفاية .

— حق الإسلام فعل الواجبات<sup>(3)</sup>، فمن ترك واجباً جاز قتاله<sup>(4)</sup>

— (جائز) قد تعبر عن الجواز الحكمي (وهو ضد الحرام فقد يكون واجباً أو مستحباً أو مباحاً أو مكروهاً)، كما قد تعبر عن الجواز العقلي (وهو التعبير عن إمكانية حدوث الشيء من جهة العقل وهو ضد المحال، والجائز عقلاً هو مالا يحيل العقل وقوعه أو حدوثه)<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> أصول فقه: سد الذرائع

<sup>2</sup> فقه: حكم تارك الصوم

<sup>3</sup> أصول فقه: حق الإسلام فعل الواجبات

<sup>4</sup> فقه: من ترك واجباً جاز قتاله

<sup>5</sup> أصول فقه: الجواز ينقسم إلى جواز حكمي أم جواز عقلي

- إذن جائز - حكماً - تعبر عن الواجب أو المستحب أو المباح أو المكروه إذا كان الأصل التحريم، كقول الرسول ﷺ في خطبته يوم النحر بمضى في حجة الوداع: >إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟< متفق عليه.
- القتل غير القتال، وهذا يتضح من قوله ﷺ (إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان)<sup>(1)</sup>، فقد قال ﷺ يقاتله ولم يقل يقتله، وغاير بينهما الإمام النووي في الشرح وقال: "يباح قتله وقتاله"
- البغاة: كما في سورة الحجرات: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ مَا قَاتَلْتُمَا لِلَّهِ خَالِدَةٌ لِأُولَئِكَ لَمَّا قَاتَلْتُمُوهُمَا يُبَاطِلُ الْمُؤْمِنُونَ أَلَمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمُ الَّتِي نَكَسُوا فِيهَا مِنْهُنَّ بِغَيْرِ جُنَاحٍ عَلَيْهِمْ غَنَائُهُمْ لَمَّا قَاتَلْتُمُوهُمَا ذَٰلِكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، فالبغاة هم المعتدون على حقوق الغير
- قطاع الطريق: يقاتلهم الحاكم ودمهم مهدر وليس لهم دية عند المسلمين
- الصائل: أي المهاجم، إنساناً كان أو حيواناً فيباح قتله وقتاله
- الممتنع من بذل الماء للمضطر والبهيمة المحترمة: كإنسان في الصحراء معه ماء يزيد عن حاجته يريد أن يتوضأ منه، ومعه آخرون يريدون أن يشربوا لكي لا يموتوا من العطش، فهؤلاء يجوز لهم أخذ الماء منه عنوة، أيضاً إذا كانت التي ستهلك عطشاً بهيمة محترمة<sup>2</sup>، لأن ذلك فيه ضياع للمال ومن مقاصد الشريعة حفظ المال
- هنا يقاتل الممتنع عن بذل الماء على منعه لكون بذل الماء للمضطر والبهيمة المحترمة من الواجبات ، ولا يُقتل إلا إذا قاتل قتال من يقتل مقاتله.
- المقصود بالماء هنا الماء المملوك له الزائد عن حاجته فيلزمه أن يدفعه للمضطر .
- إذن يلزمك بذل الماء الزائد عن حاجتك للإنسان والبهيمة المحترمة، أما البهيمة غير المحترمة فقال ﷺ (في كل كبد رطبة أجر) متفق عليه. فهذا ليس واجباً ولكن ترحم حتى الكلب عدا الفواسق كالفأر<sup>3</sup>
- الجاني: من قتل يقتل
- الممتنع من قضاء الدين مع القدرة: أي يقاتل من عنده مال ولا يريد الدفع، أما من ليس عنده مال فقال تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي إذا وجد ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة
- الزاني المحصن: المتزوج أو الذي سبق له الجماع بعقد شرعي يسمى محصناً فلو زنى يقتل رجماً<sup>4</sup>، وهذا إذا رفع أمره إلى الحاكم بشهادة أربع شهداء على الأقل، أما لو رأوا أن صلاحه قد يتم بعدم إبلاغ الحاكم فقد أقالوا عثرته، أما لو ظل مُصراً فالأولى أن يتخلص المجتمع منه.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري [509]

<sup>2</sup> فقه: حكم البهيمة المحترمة

<sup>3</sup> قاعدة سلوكية: في كل كبد رطبة أجر

<sup>4</sup> فقه: حكم الزاني المحصن

- مسألة: إذا زنى شاب مرتين فهل يكون بعد المرة الأولى محصناً؟! لا لأنه يُشترط أن يكون قد جامع بعقدٍ صحيحٍ أي يذوق طعم الحلال
- تارك الجمعة والوضوء: يقاتل وإن أصر يقتله الحاكم، ويُعرف ذلك إما بجهره بذلك وإما إن يكتشف أحد الأشخاص أمره وثبت ذلك عليه.
- يلحق بحكم تارك الوضوء حكم تارك باقي واجبات الصلاة
- الجماعة في الصلاة: اختلف العلماء في حكمها:<sup>1</sup>
  1. شرط في صحة الصلاة لمن يسمع النداء (وهذا قول الظاهرية وبعض الحنابلة)
  2. واجبة أي فرض عين (وهذا قول الحنابلة) ⇨ فيكون الحكم أن تاركها يقاتل
  3. سنة واجبة أو واجب وهذا قول الأحناف ( والواجب أدنى من الفرض عندهم)، فيحرم تاركه من الشفاعة
  4. فرض كفاية (وهذا قول بعض الشافعية وبعض المالكية) والكفاية تقوم برجل وامرأة ⇨ فيكون الحكم أنه إذا تواطأ الناس على تركها يقاتلوا
  5. سنة مؤكدة
- والقول المختار أن الجماعة واجبة- طالما أن المسجد صالح للصلاة ولم يكن هناك أسباب أخرى-
- السنة المؤكدة لا يأثم تاركها (قد يُلام أي يعاتب يوم القيامة) والظاهر أنه لا يُلام<sup>(2)</sup>
- لكن ترك السنة يتحسر صاحبه يوم القيامة على ما فرط فيه من ثواب قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ.. ﴾<sup>(3)</sup>
- السنة الواجبة- وهذا عند الأحناف مخالفة للجمهور- يُحرم تاركها شفاعته المصطفى ﷺ لأن ثوابها أكبر

قوله صلى الله عليه وسلم : (( و حسابه على الله )) يعني من أتى بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة عصم دمه وماله ، ثم إن كان فعل ذلك بنية خالصة صالحة فهو مؤمن ، وإن كان فعله تقية وخوفاً من السيف كالمنافق فحسابه على الله ، وهو متولي السرائر ، وكذلك من صلى بغير وضوء أو غسل من الجنابة ، أو أكل في بيته وادعى أنه صائم ، يقبل منه وحسابه على الله عز وجل والله أعلم .

- قوله حسابه على الله وهو متولي السرائر: أي لم يوكل إلينا معاقبته<sup>4</sup>
- الرجل طالما ولد من أبوين مسلمين فقد ولد على الفطرة فإن ارتد يقتل

<sup>1</sup> فقه: حكم صلاة الجماعة

<sup>2</sup> أصول فقه: السنة المؤكدة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها وكان رسول الله ﷺ لا يتركها

السنة الغير مؤكدة: المؤكدة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها وكان رسول الله ﷺ يفعلها أحياناً ويتركها أحياناً

<sup>3</sup> قاعدة سلوكية: ترك السنة يتحسر عليه فاعله يوم القيامة لما فيها من الثواب العظيم

<sup>4</sup> قاعدة سلوكية: لنا الظاهر والله ﷻ يتولى السرائر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتُّوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 7288]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 1337].

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

قوله ﷺ (( ما نهيتكم عنه فاجتنبوه )) أي اجتنبوه جملة واحدة لا تفعلوه ولا شيئاً منه ، وهذا محموله على نهي التحريم ، فأما نهي الكراهة فيجوز فعله ، وأصل النهي في اللغة : المنع .

قوله ﷺ : (( وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم )) فيه مسائل : منها إذا وجد ماء للوضوء لا يكفيهِ فلاظهر وجوب استعماله ثم يتيمم للباقي، ومنها إذا وجد بعض الصاع في الفطرة فإنه يجب إخراجه، ومنها إذا وجد بعض ما يكفي لنفقة القريب أو الزوجة أو البهيمة فإنه يجب بذله. وهذا بخلاف ما إذا وجد بعض الرقبة فإنه لا يجب عتقه عن الكفارة، لأن الكفارة لها بدل وهو الصوم.

وقوله ﷺ : (( فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم )) . اعلم أن السؤال على أقسام :

القسم الأول : سؤال الجاهل عن فرائض الدين كالوضوء والصلاة والصوم، وعن أحكام المعاملة ونحو ذلك . وهذا السؤال واجب وعليه حمل قوله ﷺ : (( طلب العلم فريضة على كل مسلم )) ومسلمة ، ولا يسع الإنسان السكوت عن ذلك قال تعالى : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إني أعطيت لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً ، كذلك أخبر عن نفسه رضي الله تعالى عنه .

والقسم الثاني: السؤال عن التفقه في الدين لا للعمل وحده مثل القضاء والفتوى وهذا فرض كفاية لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: 122]. وقال ﷺ : (( ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب )) .

القسم الثالث : أن يسأل عن شيء لم يوجهه الله عليه ، ولا على غيره ، وعلى هذا حمل الحديث لأنه قد يكون في السؤال ترتب مشقة بسبب تكليف يحصل ولهذا قال ﷺ : (( وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها )) .

وعن علي رضي الله عنه لما نزلت ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: 97]. قال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى أعاد مرتين أو ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ : (( وما يوشك أن أقول نعم ، والله لو قلت : نعم لو جبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، فاتركوني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فأجتنبوه )) ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ ﴾ [المائدة: 101] أي لم آمركم بالعمل بها ، وهذا النهي خاص بزمانه ﷺ ، أما بعد أن استقرت الشريعة ، وأمن من الزيادة فيها زال النهي بزوال سببه.

وكره جماعة من السلف السؤال عن معاني الآيات المشبهة ، سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : ﴿ أَلَرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: 5] فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأراك رجل سوء أخرجوه عني . وقال بعضهم: مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم : وهو السؤال .

الشرح:

— عن أبي هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه ، وسمي أبو هريرة لأنه كان يحمل هريرة في كفه ، وهريرة تصغير هرة والهريرة القطة الصغيرة<sup>(1)</sup>

قوله ﷺ (( ما نهيتكم عنه فاجتنبوه )) أي اجتنبوه جملة واحدة لا تفعلوه ولا شيئاً منه...

— أي اتركوا ودعوا ما نهيتكم عنه ولا تفعلوا منه شيئاً<sup>(2)</sup>  
— بعض أهل العلم قالوا أن الاجتناب أشد قليلاً من الترك ، ففيه معنى زائد على الترك ، ولذا قال الله تعالى في موضع ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [البقرة: 229] ، وفي موضع آخر قال تعالى عندما كان الأمر أشد خطورة ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ [البقرة: 187] ، وعلى كل النهي هنا عام أي ما نهيتكم عنه فاجتنبوه أي اتركوه

وهذا محمول على نهي التحريم...

— ما نهيتكم فاجتنبوه: أي ما نهيتكم عنه نهي تحريم ، لأن النهي قد يكون للكرهية ، إذن:

○ ما نهيتكم عنه نهي تحريم فاجتنبوه وجوباً

○ وما نهيتكم عنه نهي كراهة فاجتنبوه استحباباً

فأما نهي الكراهة فيجوز فعله..

<sup>1</sup> سلوك: فيه توجيه إلى الفرق بالحيوان والعطف عليه، وكما في الحديث أن امرأة دخلت النار في كلب سقته، وفي الحديث الآخر أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض

<sup>2</sup> فقه: وجوب اجتناب ما نهى عنه الله تعالى أو نهى عنه رسوله ﷺ ، وهذا ما لم يدل دليل على أن النهي للكرهية

- المكروه جائز حكماً<sup>(1)</sup>، ونقول جائز ولا نقول مباح، لأن المباح اصطلاح معناه: لا يثاب فاعله ولا يأثم تاركه<sup>(2)</sup>، أي أنه مخير في فعله إذ لا ثواب على فعله ولا عقاب على تركه، إذن المباح ما يخير فيه المكلف بين الفعل والترك
- أما الجائز حكماً فيشمل الواجب والمستحب والمباح والمكروه، فكلمة جائز هي ضد الحرام، أي أن الجائز ليس بحرام، وهنا الجواز هو الجواز الحكمي أي من جهة حكم الشرع<sup>(3)</sup>
- والجواز إما حكمي أو عقلي
- وقولنا (كل شيء جائز) هذه الجملة ليست صحيحة على إطلاقها، فتوجد أشياء غير جائزة حكماً ولا عقلاً
- الجائز عقلاً هو ضد المحال<sup>(4)</sup> وهو ما نسميه في لغتنا الدارجة المستحيل، أي الغير ممكن الحدوث مثال: هل يمكن اجتماع المتناقضين أو الضدين-أي أن شيء ينقض الآخر-؟ أي هل يمكن أن يكون الإنسان موجوداً وغير موجود في نفس الوقت؟ لا، غير ممكن فهو إما يكون موجوداً أو غير موجود لأن هذا يناقض ذاك، فهذا محال لا يجوز (عقلاً)
- مثال: هل يمكن اجتماع المتغايرين؟ نعم يجوز، لأن التغاير غير التضاد، فالأبيض والأسمر على سبيل المثال متغايرين في اللون، ويجوز اجتماعهما في مكان واحد مثلاً
- مثال: هل يعيش الإنسان ألف أو مئة ألف سنة؟ نعم، هذا جائز، ولكن هل يوجد إنسان عاش فعلاً شيئاً كهذا؟ هذا أيضاً جائز، لأن الجائز ليس له علاقة بالواقع، فقد يكون الشيء جائزاً عقلاً لكنه إما يقع أو لا يقع، فالواقع شيء والجائز شيء آخر، وضد هذا الجائز عقلاً المحال
- لكن الجائز حكماً هو ضد الحرام، والحكم هو ما أنزله الله تعالى من خطاب للمكلفين بالفعل أو الترك أو التخيير<sup>(5)</sup>.

قوله ﷺ : (( وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ))

- من: للتبعض أي اتوا البعض الذي تستطيعونه
- لماذا قال في الترك فاجتنبوه جملة واحدة لا تفعلوه ولا شيئاً منه وقال في الفعل فأتوا منه ما استطعتم؟ الجواب: لأن الترك أسهل من الفعل فلا حجة لأحد فيه فكل ما نهيت عنه اجتنبه ولا تفعله ولا شيئاً منه، أما الفعل فيلزمه القدرة البدنية والعقلية والمالية و...، أما الترك فليس محتاجاً لهذه القدرة فعدم القدرة يستطيع الترك، ونحن نقول لك اترك وإن كنت قادراً على الفعل.

<sup>1</sup> يجوز فعل المكروه ولكن يخشى من فعل المكروه في العمل تضييع ثواب العمل

<sup>2</sup> أصول: المباح: لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه

<sup>3</sup> الجائز حكماً هو ضد الحرام، ويشمل الواجب والمستحب والمباح والمكروه

<sup>4</sup> الجائز عقلاً هو ضد المحال

<sup>5</sup> أصول: الحكم: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو التخيير أو الوضع

- فالمعنى أنك إذا استطعت الصلاة تامة في وقتها مستقبلاً القبلة وبعدد ركعاتها ذاكرًا الله تعالى تمام الذكر و...، فيجب عليك ويلزمك أن تفعل<sup>(1)</sup>.
- قول الله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [البقرة: 178] وقول النبي ﷺ (فأتوا منه ما استطعتم) ليس معناها أن تعمل ما يحلو لك وتترك ما يحلو لك، ففيهما تشديداً وليس تخفيفاً لأن (ما استطعتم) معناها أن قدرتك المالية والبدنية و.. موجودة فيلزمك الفعل إذن، ففيهما تشديداً وليس تخفيفاً.
- والتسهيل جاء بأدلة أخرى، فإن الشخص إذا استطاع الوقوف في الصلاة وهو مريض وهذا الوقوف يضره، فإنه لم أخذ بهذا الحديث على ظاهره مطلقاً بدون تفصيل فلا بد له حينئذ أن يقف في الصلاة مع ما يلحقه من ضرر، لكن جاء الشرع في موضع آخر واشترط عدم الضرر كقوله ﷺ (لا ضرر ولا ضرار)<sup>(2)</sup>، كما اشترط الشرع أيضاً عدم المشقة الشديدة -الخرج- كما في قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]
- لكن مقتضى هذا الحديث منفرداً يصعب ويشدد وذلك لعدم التساهل في أوامر الشرع وعندما يجمع مع الأدلة الأخرى يقضي بعدم التساهل لكن بما ذكر من شروط كعدم الضرر أو الحرج<sup>(3)</sup>
- فلا يوجد نص في الشريعة يعمل بمفرده أبداً فلا بد أن يجمع عليه بقية نصوص الشرع التي تتعلق به، قال تعالى ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 85]<sup>(4)</sup>
- سؤال: قال ﷺ في الحديث (صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء) فهل معنى هذا أن السنة القبلية واجبة لأن النبي ﷺ قال (وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)؟
- الجواب: لا، لأن الأمر هنا محمول على أمر الإيجاب كما قال الشارح رحمه الله في النهي: (وهذا محموله على نهي التحريم)، فنقول إن الأمر أيضاً محمول على أمر الإيجاب، ويمكننا أن نقول في الأمر أيضاً كما قلنا في النهي:
- ﴿ ما أمرتكم به أمر إيجاب فأتوا منه ما استطعتم وجوباً
- ﴿ ما نذبتكم عليه-أي أمرتكم به على سبيل الاستحباب- فأتوا منه ما استطعتم استحباباً
- فالأمر في الحديث محمول على الواجب فيجب فعله والنهي محمول على نهي التحريم فيجب تركه
- أما الأمر المستحب فقد دل الدليل على أنه يجوز تركه، ولا محل للحديث فيه للقول بالوجوب، فإن كان الحديث للاستحباب لقال: ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم إن أردتم، فهذا معنى الاستحباب هكذا لمن شاء أي لمن يريد الثواب عند الله<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> سلوك: إذا استطعت الإتيان بعمل على أكمل الوجه فإن هذا يجب عليك ويلزمك

<sup>2</sup> سيأتي بإذن الله وهو الحديث الثاني والثلاثون

<sup>3</sup> أصول: من قواعد الشرع دفع الضرر ورفع الحرج

<sup>4</sup> أصول: لا يوجد في الشريعة نص يعمل بمفرده أبداً بل لابد من أن يجمع عليه ما يتعلق به من نصوص الشرع ويعمل بمقتضاها جميعاً

<sup>5</sup> سلوك: لا نترك المستحب ابتغاءاً للثواب عند الله تعالى



- الاستحباب معناه أن الله تعالى ﷻ يقول أحثكم على كذا وأندبكم إليه وإن شئتم أن تتركوه فاتركوه ولكن يضيع عليكم الثواب

#### تطبيقات على القاعدة

منها إذا وجد ماء للوضوء لا يكفيهِ فالأظهر وجوب استعماله ثم يتيمم للباقي...

- لا يكفيهِ: أي لا يكفي لوضوء كل أعضائه
- الإمام النووي لا يكتب شيئاً إلا لسبب، فقله: (ماءاً للوضوء لا يكفيهِ) تختلف عن (ماءاً لا يكفيهِ للوضوء) لأنه قد يكون عنده ماءاً لكنه يحتاجه للشرب فلا يتوضأ به، أما قولنا (ماءاً للوضوء) أي أنه لا يحتاجه للشرب سواءً له أو لبهيمة محترمة فإن الماء إذا احتاجه لذلك يحرم الوضوء به لأنه يؤدي إلى موته أو إهلاك البهيمة المحترمة عنده أو عند غيره فلا يتوضأ بالماء ويهلك هو أو يترك البهيمة قهلاً.
- أما إن كان هذا الماء للوضوء أي أنه زائد عن حاجته للشرب أو لا يصلح للشرب -فقد يمتيه إن شربه- لكن هذا الماء لا يكفي للوضوء الكامل، والوضوء الكامل قلنا أنه يكفيهِ حوالي  $\frac{1}{3}$  كوب فالأظهر وجوب استعماله في الأعضاء فيغسل وجهه وإن بقي ماء يغسل يده وإن بقي ماء يمسح رأسه ... وهكذا يستعمله فيما يمكنه ثم يتيمم عن ما لا يكفيهِ ماء الوضوء من هذه الأعضاء.
- يتيمم عن الباقي: التيمم مسح الوجه والكفين، فيتيمم عن الباقي بأن يمسح الوجه والكفين عن غسل القدمين، أو عن مسح الرأس وغسل القدمين أو عن غسل اليدين ومسح الرأس وغسل الرجلين

ومنها إذا وجد بعض الصاع في الفطرة فإنه يجب إخراجه...

- الصاع: 4 أمداد وهو مقدار حتمي وهو المقدار الواجب إخراجه من الحبوب في الفطرة -أي زكاة الفطر.
- فهذا عنده بعض الصاع وليس عنده صاع كامل فيخرج هذا البعض.
- وإن جاءه مال يكمل به المقدار الواجب إخراجه من الحبوب ويخرجه، أما لو فات الوقت وانقضت الصلاة فيسقط عنه أداؤها، لأن الذي عنده مال فائض عن حاجته أو حاجة عياله في الوقت هو فقط الذي عليه الإخراج والذي تحصل له السعة بعد الوقت لا يجب عليه
- وشرط الزكاة أن يكون فائضاً عن حاجته وحاجة عياله ليلة العيد فقد يكون عنده مد أو مدين زائدين عن حاجته ويحتاج الباقي فيخرج هذا المد أو المدين أو أي شيء زائد عن الحاجة وإن لم يكن صاعاً كاملاً فهذا يجب إخراجه
- من لا يملك في زكاة الفطرة إلا أقل من صاع ثم جاءه مال يكمل به، أما إذا جاءه المال بعد الصلاة فهذا تسقط عنه، هذا لأن الذي يجب عليه الإخراج هو الذي عنده ما يفيض عن حاجته وعياله في الوقت، والذي تحصل له السعة بعد الوقت فلا يجب عليه

ومنها إذا وجد بعض ما يكفي لنفقة القريب أو الزوجة أو البهيمة فإنه يجب بذله.

- منها: أي من المسائل
- البهيمة المحترمة والزوجة وبعض الأقرباء يجب على الإنسان النفقة عليهم كالولد ينفق على والده والوالد على ولده ونحو هذا، كما ينفق على البهيمة المحترمة لكي لا تهلك ويضيع المال
- هذا عنده بعض المال الذي لا يكفي النفقة لكنه يدفعه من باب إدراك ما يمكن إدراكه، والقاعدة الفقهية (ما لا يدرك كله لا يترك كله-أو لا يترك كله والمراد الممكن المستطاع منه-) وهي القاعدة التي نصيغها بقولنا (الميسور لا يسقط بالمعسور)<sup>(1)</sup> فالذي لا يمكن إدراكه كله لا يسقط البعض الممكن منه، فأنت يتيسر لك دفع 100 جنيه والنفقة تحتاج 200 جنيه فتدفع هذا الذي تستطيعه لأنه لا يسقط عنك، وفي الوضوء مثلاً تتوضأ على قدر الماء الموجود ثم تقيم عن باقي الأعضاء.
- كلما زادت النفقة زاد الثواب.

- [المعسور والميسور]:

- والعلماء يعبرون بالميسور والمعسور لأن المعسور لا يجب إتيانه شرعاً لأن الله تعالى قال ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:78] هذا وإن كان إدراكه وإتيانه ممكن مع المشقة فعبروا بالمعسور والميسور ليعبروا أنه لو كان ممكناً ولكنه صعب ويورث مشقة شديدة يترك أيضاً ولا يجب فعله حينئذ. واليسر هو اليسر الشرعي والعسر كذلك هو العسر الشرعي أي أن المعسور هو ما حدده الشرع بأن فيه عسر وهو الذي لا يتأتى إلا بالمشقة الشديدة، أما ما فيه مشقة خفيفة فيعتبر ميسوراً.
- سؤال: لو أن شخصاً لا يأخذ بالرخص فهل يتكلف المعسور؟
  - الجواب: تكلف المعسور يجوز في كثير من الأحيان ويثاب عليه، لكنه أحياناً أيضاً لا يجوز ولا يثاب فاعله أو يكره لأنه قد يؤدي إلى فقدان عبادة أو فقدان شيء من البدن أو يزيد المرض فيعطله عن العبادات والطاعات فهذا التكلف لا يجوز حينئذ.

وهذا بخلاف ما إذا وجد بعض الرقبة فإنه لا يجب عتقه عن الكفارة، لأن الكفارة لها بدل وهو الصوم.

- الكفارة: أي كفارة مثل كفارة اليمين، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، والرقبة بمائة ألف جنيه مثلاً وهو معه خمسين ألف فقط فيقول أعتق نصف الرقبة لا، إنما يصير إلى أمور أخرى من صوم أو كسوة

وقوله ﷺ: (( فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم )).

- (كثرة) تعرب فاعل، فكثرة الأسئلة والاختلاف على الأنبياء هي التي أهلك الأمم السابقة

— والسؤال منه جائز ومنه لا يجوز ومنه مهلك..

القسم الأول : سؤال الجاهل عن فرائض الدين كالوضوء والصلاة والصوم، وعن أحكام المعاملة ونحو ذلك .  
وهذا السؤال واجب..

— فيأتي أحد الأشخاص ويسأل ثم يقول أني سألت اليوم كثيراً قد سألت عن الصلاة وأركانها وأحكامها فليس من المهم الآن أن أسأل عن الوضوء لكيلا أضيق الناس بكثرة الأسئلة فيصلي من غير وضوء أو يتوضأ على مزاجه فهذا لا يصح، لأن السؤال عن مثل هذا واجب ولو كثر، قال تعالى ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: 7، النحل: 43] .

وعليه حمل قوله ﷺ: (( طلب العلم فريضة على كل مسلم )) ومسلمة

— وهو العلم بما يجب عليك فعله أو اعتقاده فهذا يلزمك تعلمه، وإنما العلم بالتعلم فتعلمه بالسؤال أو قراءة الكتب تحت إشراف العلماء، وقال ﷺ (إنما شفاء العي السؤال)، والعي: الجهل والضعف

ولا يسع الإنسان السكوت عن ذلك قال تعالى : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إني أعطيت لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً ، كذلك أخبر عن نفسه رضي الله تعالى عنه .

— فيسأل عن أحكام الشرع وعن الفقه والعلم وعن ما ينفعه ﷺ ، أما الأسئلة التي لا تنفع والتي منع منها الناس فيما لا يفهم أو فيما لا يدرك بالعقل أو فيما أمر بالسكوت عنه فهذا الذي هي عنه.  
— وهذا القسم الأول وهو سؤال الجاهل عن فرائض الدين وهو واجب<sup>(1)</sup>

والقسم الثاني: السؤال عن التفقه في الدين لا للعمل وحده مثل القضاء والفتوى وهذا فرض كفاية...

— أي لا يسأل للعمل ولا يسأل عن الصلاة للصلاة ولكن لأمر أخرى مثل القضاء والفتوى  
— وهذا مثل أن يكون فقيراً ليس عنده مال ولا سيخرج زكاة فيسأل عن هذا لكي يقوم بفرض الكفاية ثم يعلم الناس أو يقضي بينهم أو يفتيهم  
— والتفقه فقط كعباده ترفع الدرجات ويقوم أيضاً بفرض الكفاية، إذن فهذا فرض كفاية

...لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: 122]. وقال ﷺ: (( ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب )).

— يُعلم: وهذا لكي يقوم بالتعليم

— ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ فيخرجوا للجهد ويبقى الآخرون يتفقهون في الدين

— فتنفر طائفة—أي بعض الناس وليس كلهم— للجهاد ويبقى الباقي يتفقهون ويتعلمون فالفقه أعم في الطلب فالكل مطلوب منهم أن التفقه، والنفرة للجهاد للبعض فهؤلاء البعض معذورون في ترك التفقه.

— وهذا تفسير بعض أهل العلم للآية فالنفرة للبعض والباقي يتفقه  
— ولو قلنا أن البعض يتفقه فنقصد الفقه الخاص الزائد عن العمل للقيام بفرض الكفاية، وكلا القولين يؤدي إلى أن هذا العلم فرض كفاية

— إذن فالسؤال منه الواجب كالسؤال عن أحكام الشرع إما للعمل أو لتحقيق فرض الكفاية<sup>(1)</sup>

القسم الثالث : أن يسأل عن شيء لم يوجبه الله عليه ، ولا على غيره...

وهذا انقطع بموت النبي ﷺ، فمن كان يسأل النبي ﷺ عن شيء فينزل الله تعالى تحريمه أو وجوبه، لكن له شيء من التطبيق الآن سنتكلم عليه<sup>(2)</sup>

وعلى هذا حمل الحديث لأنه قد يكون في السؤال ترتب مشقة بسبب تكليف يحصل ولهذا أشار ﷺ بقوله: (( وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها )) .

— فلا تسأل عن شيء حتى يحرم أو يجب، ولكن من يسأل عن شيء ليباح فهذا السؤال يرتب تيسيراً لا تعسيراً، ومن هذا سؤال عمر رضي الله عنه حين رأى الناس لا يصلون خلف مقام إبراهيم وهو الحجر الذي كان عليه يقف عليه ليبي الكعبة، فقال ﷺ للنبي ﷺ (ألا نتخذ من مقام إبراهيم مصلى؟) فنزل قوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة:125]

— الصلاة خلف مقام إبراهيم ليست واجبة، ولكن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يصلون هناك وكانوا مخاطبين ومحزرين ومتخوفين ولم يجد سيدنا عمر رضي الله عنه سبباً لذلك فسأل فكان التحفيز.

— وأصل ذلك أنهم ﷺ كانوا يخافون من أشياء لأن الكفار كانوا يفعلون أشياء في الحج ويتركون أشياء، ولم يعلموا ما يتركوه وما يفعلوه وهل يقلدون المشركون في بعض أفعالهم مثل طوافهم بالصفاء والمروة فهل يفعلون مثلهم؟ فقال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:158]

فلا جناح: أي ليس حراماً

وعن علي رضي الله عنه لما نزلت ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: 97]. قال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى أعاد مرتين أو ثلاثاً...

<sup>1</sup> فقه: السؤال فيه أشياء واجبة كالسؤال عن أحكام الشرع إما للعمل أو لتحقيق فرض الكفاية

<sup>2</sup> انظر صفحة: ( 13 )

— ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران:97] فإذا حج البيت مرة فقد فعل الواجب، فهذا الصحابي يسأل أنحج كل عام، والله تعالى لم يقل كل عام، وهو تعالى أمر والأمر يقتضي المرة<sup>(1)</sup>

— ومثال ذلك أن يقول شخص لخدمه اكنس هذه الغرفة فكنسها فهل بعد ذلك يعود فيكنسها مرة أخرى أو مرة ثالثة؟! أو أيضاً إذا قال له احضر كوباً من الماء فهل يحضره له ثم يعود فيحضر كوباً آخر؟! فهذا ليس معقولاً، لذا فالأمر يقتضي المرة إلا إذا أتت قرينة تفيد الاستمرار فنقتضي بأن هذا يتكرر، فلهذا أنكرنا السؤال عن الحج أكل عام؟ فالأمر جاء بالحج مرة واحدة.

...فقال رسول الله ﷺ : (( وما يؤمنك أن أقول نعم ، والله لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، فذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فأجتنبوه ))، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ [البقرة:101] أي لم آمركم بالعمل بها ، وهذا النهي خاص بزمانه ﷺ، أما بعد أن استقرت الشريعة، و أمن من الزيادة فيها زال النهي بزوال سببه.

وكره جماعة من السلف السؤال عن معاني الآيات المشبهة، سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]...

— أي سأل السائل: كيف استوى؟  
— الاستواء معلوم في اللغة: فمعناه العلو  
— أما كيفية علو الله تعالى فهذه لا نعرفها لأننا حجب عنا هذا العلم وهو العلم بذات الله وكيفية أفعاله ﷻ ، ولذا لا نسأل كيف يعلو تعالى ولا يضحك ولا يغضب ...  
— والناس عندهم الغضب وهو معلوم والعلم به يقتضي أن الذي يغضب يعاقب وينتقم وأن ما أغضبه به أمر لا يحبه ويصعد الدم إلى دماغه ويحمر وجهه ويتثار ولا يتمالك نفسه... فهذا من المعلوم عندنا، أما الله تعالى فهل يغضب كغضب المخلوقين؟ لا، فالله ﷻ ليس كذلك ومن يقول خلاف ذلك فهو كافر؟ أما الذي يسأل كيف يغضب فنقول لا نعلم لأن هذا العلم حجب عنا، إذن فليس كالمخلوقين ولا نعلم كيف، فما نعلمه أنه ليس كمثل أي شيء من المخلوقات فما كيفيته لا نعلم لأن الله تعالى حجب عنا هذا العلم.

— وهذا السؤال بكيف لا يجوز فهم سؤال محرم<sup>2</sup> وبدعة منكرة ولذا قال الإمام مالك-رحمه الله:-

<sup>1</sup> أصول: الأمر يقتضي المرة

<sup>2</sup> عقيدة: السؤال عن ذات الله تعالى سؤال محرم وهو بدعة منكرة

الاستواء معلوم، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأراك رجل سوء أخرجوه عني .

- وكان بعض العلماء يضرب هذا بالجريد والنعال لأنه يلبس على الناس، وهم إذا ما فكروا في أي شيء فهذا غير الله تعالى فما تدركه العقول ليس هو حقيقة فعل الله تعالى لأن الله تعالى قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] فأنت تتخيل الأشياء التي تعرفها وهو تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فلا تتخيل لأنك لن تستطيع لأن هذا العلم محجوب فمهما فكرت فلن تدركه.
- وكذا كل أفعال الله تعالى وصفاته الذاتية فلا نستطيع إدراكها، فالله تعالى له وجه ويد ورجل، لكننا لا نعرف الكيفية ولا نستطيع ذلك ولا نقول هذا الوجه كوجه الإنسان ولا الخيل ولا النبات ولا الصخر ولا السمك، لا، فالله تعالى له وجه لكن ما هي كيفيته؟ الله أعلم بها ولا نعلمها لأن هذا العلم حجب عنا وهذه الكيفية لا تماثل ما للمخلوقين،

وقال بعضهم: مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم : وهو السؤال .

- هذا القول ساقط وباطل وبه كل الأوصاف السيئة ويخالف القرآن والسنة والعقل وكافة شيء
- (مذهب السلف أسلم) هذا الجزء صحيح، فمذهب السلف أسلم من أن نخمن أن نزول الله تعالى معناه كذا وكذا وقد يكون هذا الكلام خاطئ و من أين لك أن تعلم أنه صحيح؟
- فقد يقول شخص أنا سأفكر بعقلي وما سأفكر فيه قد يكون صحيحاً فنقول له ومن أين ستعرف أنه صحيح إذا كان الله تعالى قد حجب العلم به؟
- (ومذهب الخلف أعلم) أعلم بماذا؟ ومن أين عرفوا؟ أعرفوا من تفسير الصفات؟ ومن أين علموا أن هذا التفسير صحيح؟ أمن وحي نزل عليهم ولم ينزل على النبي ﷺ أم هو وحي نزل على النبي ﷺ ولم يخبر به الصحابة ثم هم عرفوه، وكيف عرفوه من غير أن يعرفه الصحابة؟ فكيف يقولون (ومذهب الخلف أعلم)؟ هل هناك سبيل أن يعلموا شيئاً لم يعلمه النبي ﷺ؟ أو شيء علمه النبي ﷺ ولم يعرفه الصحابة، فهذا كلام خاطئ
- فمذهب السلف وهم الصحابة وتابعهم بإحسان إلى يوم الدين عدم تفسير أن يد الله كذا مثلاً، وكذا لم يفعل التابعين أيضاً، فكيف يأتي المؤولة بعد ذلك ويفسرون فمن أين لهم هذا العلم؟
- فكتب الإمام-رحمه الله- هذه الجملة لكي تنتبه إلى هذا القول الذي قاله بعض المتكلمين والمتأولة، وهذا ليس معناه أنه يؤيد هذا القول.
- (وهو السؤال) أي سؤالهم عن معاني الآيات المتشابهة، وبسؤالهم هذا لا يجيبهم أحد فالله لن يجيبهم ولا رسول الله ﷺ لأنه توفي فلا سبيل أن يجيبهم أحد فيجيئوا أنفسهم بأنفسهم، فكيف يكون هؤلاء أعلم؟ فهذا ضلال مبين

- وهؤلاء حقهم أن يفعل بهم كما فعل الإمام مالك - رحمه الله - في أهل البدع والأهواء فحقهم الطرد من أماكن أهل السنة.
- وحتى لو قال الإمام النووي بذلك - وهو لم يقل به - هذا لا يأتي لنا بشبهة لأن كل إنسان قد يخطئ.

### الأسئلة الممنوعة بالنسبة لنا:

1. السؤال عما لا يجب السؤال عنه وهذا في نحو أبواب المياه (وهذا هو التكلف)، فيسأل هل

هذا الماء طاهر أم نجس، فهذا سؤال خاطئ فيبقى الماء على أصله ولا يسأل.

كما قد ينظر أحد الموسوسين لإخوانه وهم يتطهرون من النجاسة فيقول هذا ما زال فيه نجاسة أو...

كما قد يكون في زيارة لأحد فيظل ينظر إلى أولاده كيف يتطهروا و... فيشق على نفسه

أيضاً قد يأتيه قط ولغ في ماء فينظر أين كان أيكون في ماء نجس أم لا ...

وكل هذا تكلف في باب النجاسات والمياه، والمثال المشهور: يا صاحبة الماء أمّاؤك نجس؟

قالت نجسه سؤالك، وأيضاً مثال: يا صاحب الحوض أترد حوضك السباع؟ قال يا صاحب

الحوض لا تخبره، فهذا من التكلف

ومن التكلف أيضاً في التجارة أن يأتيه رجل ببضاعة فيسأله من أين أتيت بها أسرقتها؟!

فيسأل عن ما لم يوجبه الشرع فهذا ورع زائد لم يأمر به الشرع

ومن التكلف أيضاً أن يقدم له أحد لحم فيقول أذبحته بيدك أم ذبحه مسلم وإن كان ذلك فما

عقيدته؟!

فهذا هو السؤال عما لم يوجبه الشرع والتحرز والتورع الزائد، والتكلف هو السؤال عما لا

شبهة فيه، وعدم وجود الشبهة لا يعني عدم وجد الإحتمال أن يكون هذا الشيء نجس أو

حرام، لكن معناه أن تكون شبهة متروكة أو شبهة ضعيفة، لأن الشبهة القوية فالورع يطلب

فيها.

وقال ابن القيم - رحمه الله - أن الموسوسة الآن يسألون عن المياه والنجاسات أما في الأموال

فلا يسألون ولا يتورعون، وقال أن هذا بعكس حال الصحابة الذين كانوا يهتمون بالمأكل

والمشرب وما يكسبونه فلا بد أن يتأكدون من أنه حلال، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه شك أن

خادمه جاهل بالأحكام ويأتي بالمال وهو لا مال له فالأصل أنه لا مال له فعندما يأتي بالمال

فهذا فيه شيء من الاشتباه، وهكذا فيسأل على حسب قوة الشبهة

2. سؤال العالم عن شيء يعتنه ويعجزه فلا يسأل هذا السائل ليعمل أو يستفيد هو أو يفيد إخوانه إنما لإظهار كفايته وتعقله وبحته ويظهر أنه أعلم من المعلم أو...، وهذا لا يكون مخلصاً إنما يبتغي بسؤاله الذكر والشهرة والجاه...





## الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: 1015].

— هريرة: تصغير هرة، والهرّة القطعة.

— وكان سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه يضع قطعة صغيرة في كفه رفقا ورحمة بها، واسمه عبد الرحمن بن صخر.

— غُذِيَ، وفي رواية غُذِّي، لكن المشهورة الأولى.

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ»، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك باسمك المطهر الطاهر، الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرجت»، ومعنى الطيب: المنزه عن النقائص والخبائث، فيكون بمعنى القدوس وقيل طيب الثناء ومسلتذ الأسماء عند العارفين بها: وهو طيب عبادته لدخول الجنة بالإعمال الصالحة وطيبها لهم، والكلمة الطيبة: لا إله إلا الله.

قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» أي فلا يتقرب إليه بصدقة حرام، ويكره التصديق بالردىء من الطعام كالحب العتيق المسوس، وكذلك يكره التصديق بما فيه شبهة قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ فَيَمُوتُوا عَنْ غَيْرِهِمْ﴾ [البقرة: 267]. فكما أنه تعالى لا يقبل المال إلا الطيب كذلك لا يقبل من العمل إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها.

قوله: فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: 51]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]. المراد بالطيبات الحلال.

في الحديث دليل على أن الشخص يثاب على ما يأكله إذا قصد به التقوي على الطاعة أو إحياء نفسه، وذلك من الواجبات، بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم.

قوله: «مطعمه حرام ومشربه حرام وغذّي بالحرام» أي شبع، وهو بضم الغين المعجمة وكسر الـ ذال المعجمة المخففة من الغذي بالكسر والقصر، وأما الغذاء بالفتح والمد والـ ذال المهملة: فهو عبارة عن نفس الطعام الذي يؤكل في الغداة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: 62].

قوله: «فأنى يستجاب له» أي استبعاداً لقبوله إجابة الدعاء، وهذا شرط العبادي لقبول الدعاء أكل الحلال، والصحيح أن ذلك ليس بشرط فقد استجاب لشر خلقه إبليس فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15].

الشرح:

قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»

- إن: تفيد التوكيد
  - إن وأخواتها تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها
  - تعالى: هي فعل من العلو، والتعالي هو الذي يناسب الرب تبارك وتعالى، فله التعالي والعلو الكبر والتكبر فهو جبار كبير متكبر
  - ﴿﴾، وهذا هو الذي يناسب رب الأرباب وملك الملوك.
  - و لا يناسب هذا المربوبين والمخلوقين فما لهم إلا العبودية والذل والتذلل للخالق وهذا يناسب مقامهم من صفات النقص.
  - فالكبر مذموم في حق العباد لأنه ليس مقام العبيد وعلى العكس فالرب تبارك وتعالى لا يناسبه إلا الجبروت والتكبر، قال تعالى في الحديث القدسي «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» وقال أيضاً «الكبر ردائي والعز إزاري فمن نازعني فيها عذبتة»، ولا يناسبه تعالى التدني والتواضع.
  - وملوك الدنيا يجب عليهم الذل والتواضع أيضاً فملكهم هذا ليس حقيقياً بل إضافي ونسبي ومؤقت وزائل ويوم القيامة ينزع الملك من الملوك قال تعالى ﴿لَمَنَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ الله الواحد القهار ﴿فالمقهور يجب عليه أن يتواضع والقهار له الكبر، والذي فهم هذا من الملوك والأمراء نجى مثل سيدنا عمر ومن لم يفهم هلك.
  - وخير ﴿﴾ بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولاً فنظر إلى جبريل عليه السلام كأنه يستشير فأشار بيده أن تواضع فقال ﴿إنما أنا عبد أجوع يوماً وأشبع يوماً، فاختار مقام العبودية.
  - «إن الله تعالى طيب»: الله تعالى له الجمال والتزهر عن كل نقص وخبث، ولا يوصف بشيء من النقص ولا الخبث ولا الدنس فهو منتزه عن كل هذا.
  - «لا يقبل إلا طيباً»: لا يقبل إلا الطيب من الأطعمة، ﴿وَلَا يَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فالله تعالى لا يقبل الدني ولا الخبيث، الدني: دنيء الصدقة السيئة التي لا تحتاجها إلا أن يكون فيه فائدة وتتركه فهنا تثاب وتنجو، أو لا يكون فيها فائدة لك ولكن فيها فائدة لغيرك فتثاب على حسن التصرف وعدم إهلاك المال ومنفعة المسلمين لكن الأجر أقل من الإنفاق مما تحب، الخبيث الحرام المكتسب من طريقة سيئة.
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك باسمك المطهر الطاهر، الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرجت».
- عن: العننة تفيد عدم الجزم، فيحتمل الضعف أو الصحة، بخلاف قوله قال رسول الله، وكذا (روي) تستخدم لبيان الضعف.
  - الألف-السين-التاء في أول الفعل تفيد الطلب، استهدى: طلب الهداية.
  - استرحمت به: أي إذا سئلت به وطلب منه الرحمة.
- ومعنى الطيب: المنزه عن النقائص والخبائث، فيكون بمعنى القدوس.
- منزه عن النقائص: أي النقص في الصفات، بل له الكمال في كل الصفات فلا يحتاج إلى شيء، كما قال الرجل: ولي في الأرض ما ليس لله في السماء أي الزوجة والولد، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ فلا يكون له ولد، ثم نقف، ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾.
- إذن النقائص في الصفات أي يقدر على أشياء دون أخرى، والخبائث أن يوصف بصفات سيئة كالبخل أو الجبن، والله ﷻ منزّه عن هذا وهذا، فيكون بمعنى القدوس.

وقيل طيب الثناء ومسلئذ الأسماء عند العارفين بها.

العارفون يستلذون ويفرحون ويتمتعون بذكر أسماء الله وصفاته.

وهو طيب عباده لدخول الجنة بالإعمال الصالحة وطيبها لهم، والكلمة الطيبة : لا إله إلا الله .

- الله ﷻ مطيب لعباده، والجملة استطراد ولم يقل أنها معنى الحديث.
- مطيب اسم فاعل، فعلم الصرف يقول مثلاً: الاسم على وزن كذا يكون اسم فاعل وهكذا.
- كلمة (قيل) تقال للقول المرجوح، وهذا من قواعد مصطلح الكتب.
- الله تعالى طيب عباده لدخول الجنة أي نزههم وطهرهم وأكمل نقصهم وأزال دنسهم سواء بالمغفرة أو يعذب بعض أهل الإيمان بشيء من العقوبة في النار، وطيب الجنة لهم فهي طيبة لا يدخلها إلا طيب.
- الكلمة الطيبة عندما تطلق تكون لا إله إلا الله..

قوله ﷺ : « لا يقبل إلا طيباً » أي فلا يتقرب إليه بصدقة حرام.

فلا تتصدق بهال كسبته من حرام، وأيا لحم نبت من حرام فالنار أولى به.

ويكره التصدق بالبرديء من الطعام كالحب العتيق المسوس.

هذا إن كان له فائدة، أما إن لم يكن له فائدة فيما يتصدق أصلاً؟!، والكراهة عندما يخشى منها عدم القبول، وعدم القبول معناه أنه لا يأخذ ثواب أصلاً، لكن هذا يخشى ليس يقينا.

إذن يكره في المستحب معناها تقليل الثواب لأن ترك المكروه قصداً (أي من أجل الله) يثاب، فالثواب يقل يقينا، وهل سيأخذ ثواب؟ هذا مشكوك فيه لأن فاعل المكروه يخشى من فعله للمكروه تضييع ثواب العمل وألا يقبله الله ﷻ.

س: هل يكره التصدق بالملابس القديمة؟ إن كان لها فائدة ولا تناسب هيئتكم وسمتكم فلا مانع من التصدق بها، أما لو أنها تناسب لكنك تريد شراء الجديد والتصدق بالقديم يدخل الكلام هنا، وعلى حسب هذا المتصدق به قديم جداً أو...، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وكذلك يكره التصدق بما فيه شبهة قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ فَيُضِلَّكُمْ سَبِيلًا﴾ [البقرة: 267]. فكما أنه تعالى لا يقبل المال إلا الطيب كذلك لا يقبل من العمل إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها.

- الشائبة أو الشائب: المخالط من غير الجنس، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَىٰهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾، الشوب والغش: الخلط بين السيء والحسن أو الباطل على الحق، «من غشنا فليس منا» أي من خلط علينا الأمر بأن يضع البضاعة الفاسدة أسفل الصالحة.
- «من غشنا فليس منا» ليس على طريقتنا ومنهجنا ولا هو من جملتنا وزمرتنا ولا تعني أنه خارج عن الملة ولكنه مبعد عن دائرة المؤمنين الصالحين.
- الرياء: مراعاة الناس: أن يفعل المرء العمل يريد أن يراه الناس ليقولوا عليه صالح أو شجاع.
- الإخلاص: تخليص النية من التوجه لغير الله.
- الإخلاص يدخل في العبادات لأن معناه أن تكون النية في العبادة خالصة، فإذا لم توجد النية فلا محل للإخلاص، فإذا قلنا أخلص هذا الذهب من شوائبه فهذا إخلاص للذهب، فإذا لم يوجد الذهب فليس للإخلاص محل.
- إذن لو أراد الإنسان العبادة يخلص هذه النية فلا يرجو مع الله شيء، وإذا لم توجد العبادة ولم يوجد التوجه لله أصلاً فليس للإخلاص محل.

## الحديث العاشر - الأمر بعين النوىة

- العجب: الإعجاب: يعجب بعمله ويقول هذا عمل حسن يستحق القبول هذا عمل كامل، أو يعجب بحاله ويقول أنا رجل صالح أستحق الجنة.
- السمعة: التسميع: يعمل العمل في الخفاء ثم يسمع به أي يخبر الناس به ليمدحوه وهذا يضره وإن لم يتوجه لغير الله أثناء العمل، ومع ذلك لو سمع بعد العمل يضر وقد يضيع ثواب العمل. ف يريد الإشتهاار بين الناس بما عمل في الخفاء، هذا يفضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة وقد يفضحه في الدنيا أيضا.

قوله: فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾ [المؤمنون: 51]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة: 172]. المراد بالطيبات الحلال.

وفي الحديث دليل على أن الشخص يثاب على ما يأكله إذا قصد به التقوي على الطاعة أو إحياء نفسه، وذلك من الواجبات، بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم.

كيف استدل من الحديث على هذا المعنى؟؟ بالأمر بالأكل من الطيبات وليس بالأكل مطلقا.

وهذا الحكم يستفاد من القواعد، لكن الأمر بالأكل من الطيبات يحتمل أنه لا تأكلوا إلا من الطيبات، كما تحتمل طلب الأكل، لكن اقتران الأمر بالأكل من الطيبات مع الأمر بعمل الصالحات فيها دليل على الذي ذكره الإمام من أن الإنسان إذا أكل مريدا وجه الله يثاب.

الأكل واجب بقدر وهو ما يحفظ الحياة ويقوم بالواجبات، والواجبات تختلف بحسب اليوم، فمن الأيام ما يكون فيه حركة وانتقال ودعوة وجهاد فيحتاج حينئذ أن يأكل ليتقوى، «ذهب المفطرون بالأجر» فالذين فطروا أخذوا بالأجر الأكبر لأن الجهاد أوجب.

س: هل يثاب من أكل بغير نية لأنه يفعل واجب؟ الذي لا ينوي في الواجب لا يثاب، كالذي يزيل المنكر بغير قصد.

قوله: «مطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام» أي شبع، وهو بضم الغين المعجمة وكسر- الذال المعجمة المخففة من الغذى بالكسر والقصر، وأما الغداء بالفتح والمد والذال المهملة فهو عبارة عن نفس الطعام الذي يؤكل في الغداة، قال الله تعالى: ﴿قال لفتاه آتانا غداءنا﴾ [الكهف: 62].

- في طريقة الكتابة نسمي الحروف التي قد تشبه في الكتابة أو تسمح أو يغلط فيها النساخ أو تسقط نقطة زيادة من الحبر.
- 1. الباء والتاء والياء: الموحدة والمثناة الفرعية والمثناة التحتية والمثثلة، التون ليست هنا لأن (التون) لا تختلط مع غيرها.
- 2. الحاء والخاء: المعجمة والمهملة، والجيم لم تأت لأن (الجيم) لا تختلط مع غيرها.
- كلمة (عُذِي) هذه لأجل زماننا هذا فالخلال مختلط بالحرام، ودخن الربا دخل في كل شيء فمنتهع عما نستطيع ان نمتنع منه، أما المتداخل الذي يتعذر نعتذر إلى الله بعجزنا فيه ، ويعفى إن شاء الله عن باقي الشوائب التي لا نعلمها ولا نقدر على التخلص منها.
- بعض الناس يقولوا أننا لن نعمل في الحكومة لأن المال مختلط بالربا في البنوك، نقول ما قدرنا على عمله أن نعمل في عمل حلال تؤدي خدمة للمسلمين ولا نسرق ولا نأخذ الربا، والمرتب فيه قدر ولكن لا نقدر على التخلص منه، وفلوس الحكومة تحل ولو كان فيها ربا لأن الأصل في الأموال الربوية الأصل أن تعطى لبيت المال ليصرفها في المنافع والمصالح العامة، فعين المال لا يبقى فيها الحرمة ولكن يظل المعنى.

- س: هل يخرج موظف الحكومة جزءاً من راتبه؟ لا، لأنه حلال طالما عمله حلال، لا يجب عليه إخراج شيء، لكن الصدقة مستحبة على كل حال.

قوله: «فأني يستجاب له» أي استبعاداً لقبوله إجابة الدعاء، ولهذا شرط العبادي لقبول الدعاء أكل الحلال، والصحيح أن ذلك ليس بشرط فقد استجاب لشراً خلقه إبليس فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15].

- فعندما قال إبليس انظري إلى يوم يوعدون، فكما استجاب لإبليس وهو شر الخلق يستجيب لأكل الحرام، ولكن يبعد طبعاً.
- وقد استجاب الله ﷻ دعاء أبي جهل عندما استفتح بالمشركين قائلاً .. اللهم اقطعنا للرحم وآتنا بما لا نعرفه فأحنته الغداة، اللهم أينما كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فكان مستفتحاً على نفسه .. وفي ذلك أنزل الله ﷻ ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
- أنى: تأتي بمعنى كيف وهذا الغالب لكن كيف الاستيعادية، وتأتي بمعاني استفهامية أخرى.
- من الأشياء التي يستجاب بها الدعاء:
1. السفر: لأنه يخرج عن عادته ويرق قلبه بمفارقة الأهل والعادات والديار والخروج في الخلاء فيصفو قلبه ويرق، فيكثر المسافر من الدعاء لأنه مظنة الإجابة.
  2. أشعث أغبر: الداعي يهتم قلبه بما يدعو إليه ويضطر إليه، فهذا يشغله عن المظهر، فهذا من مهمات الأمور أنك حين تدعو يكون قلبك مهتم وراغب، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا﴾ أي الذي يشعر بالحاجة الشديدة التي وصلت لدرجة الضرورة أي إن لم يستجب له سيهلك أو يفسد منه جزء، ونحن حاجتنا إلى الهداية والديانة حاجة اضطرار لأن هلاك البدن أسهل من هلاك النفس بالعذاب يوم القيامة وحرمانها من الجنة.
  - قال الشيخ العثيمين: [أنه أشعث أغبر والله تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله وهو ينظر إلى عبادته يوم عرفه ويقول: «أتوني شعثاً غبراً» وهذا من أسباب الإجابة أيضاً] فأشعث أغبر تدل على انكسار القلب والاضطرار وعدم التعالي أو التكبر أو الاشتغال بالزينة والدنيا والمظهر.
  3. يمد يديه إلى السماء: من آداب الدعاء رفع اليدين إلى جهة العلو، يمد يديه ويجعل بطون الكف إلى السماء، الشحاذ يمد يد واحدة لكن نحن حاجتنا إلى فضل الله أشد من حاجته إلى فضل الآدمي فترفع يدينا الإثنين، ويحصل بذلك معنى الاستجداء في القلب. والنبى ﷺ كان إذا اجتهد في الدعاء يرفع يده حتى يظهر بياض الإبطين.
  4. قوله: (يا رب يارب): فيها معنى الطلب من الرب والإلحاح والتكرار وتذكر معنى الربوبية والألوهية، فلو لم تعطني من يعطني، لو لم تمنع عني السوء من يمنع عني، لو لم تدبر أمري من يدبر أمري، وهذا معنى الربوبية: أن الله ﷻ هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويدبر ويسير.
  5. أيضاً من آداب الدعاء غير هذا الثناء على الله في أول الدعاء وآخره، والصلاة على النبي ﷺ في أول الدعاء وآخره.
- لكن مع كل هذا من آداب الدعاء موجبات القبول ومأكله حرام وملبسه حرام ومشربه حرام يبعد أن يستجاب له، وسيدنا سعد رضي الله عنه عندما سأل النبي ﷺ أريد أن أكون مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» فالتزم بما أمره النبي فصار مستجاب الدعوة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وقال له النبي ﷺ «بأبي أنت وأمي»، وهو من أئمة المسلمين، أما سيدنا سعد بن معاذ فأيضاً من الأكابر الشرفاء دينا ودنيا وورد فيه اهتزاز عرش الرحمن لموته.



## الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِيحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَعَا مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: 2520]، وَالنَّسَائِيُّ [رقم: 5711]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

شرح الإمام النووي-رحمه الله:-

قوله صلى الله عليه وسلم ((دع ما يريك إلى ما لا يريك)) فيه دليل على أن المتقي ينبغي له أن لا يأكل المال الذي فيه شبهة ، كما يحرم عليه أكل الحرام ، وقد تقدم .  
قوله : (( إلى ما لا يريك )) أي اعدل إلى ما لا ريب فيه من الطعام الذي يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس . والريبة : الشك وتقدم الكلام عن الشبهة .

الشرح:

قوله صلى الله عليه وسلم ((دع ما يريك إلى ما لا يريك)) فيه دليل على أن المتقي ينبغي له أن لا يأكل المال الذي فيه شبهة ، كما يحرم عليه أكل الحرام ، وقد تقدم .

— ينبغي له: يستحب له ويكره له المخالفة

قوله : (( إلى ما لا يريك )) أي اعدل إلى ما لا ريب فيه من الطعام الذي يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس .

— الريبة: الشك

— أي اعدل إلى ما لا شك فيه من الطعام والشراب والأموال والعمل والكسب الذي يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس

— تكلمنا على الشبهة في الحديث السادس (الحلال بين والحرام بين...) فهو أشمل وأوسع فيشمل معنى هذا الحديث ومعان أخر، ولكن يظهر أن الإمام النووي يريد التركيز على معنى خاص ووجد فيه حديث آخر فأتى به.

— (وَرِيحَانَتِهِ) الريحان ما له رائحة زكية من زهور الأشجار والنباتات ويشمل الورد والياسمين- الذي نقول عليه الريحان الآن

— (سِبْطٌ): السبط الحفيد، الأسباط وهم أحفاد سيدنا إبراهيم وأبناء سيدنا يعقوب

— دع ما تجد فيه شكاً إلى ما لا شك فيه، ولكن إذا تيقنت الحرمة يحرم يقيناً، ولو قويت الشبهة يستحب تركها، أما الشبهة التي لا يخلو منها شيء لا تعتبر شبهة، فنسمي الاحتمال شبهة إذا قوي الاحتمال، فالاحتمال الضعيف لا يسمى شبهة.

- ومثال ذلك إذا جاء شخص يبيعك كتاب، أليس هناك احتمال ولو ضعيف أن يكون قد سرق هذا الكتاب، فهل هذه شبهة؟ لا، فمطلق الاحتمال ليس بشبهة.
- إنما الاحتمال إن قوي كأن يكون قد سرق شيئاً من قبل فهنا الاحتمال قوي فتكون شبهة.
- فيستحب التنزه عن الشبهات ولا يجب إلا في بعض الأمور فيجب ترك ما فيه الشبهة كالزواج، ففي الحديث عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأنته امرأة فقالت: إني قد أَرْضعت عقبة والتي قد تزوج بها. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أَرْضعتني ولا أخبرتني. فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله، فقال رسول الله ﷺ: "كيف وقد قيل؟" ففارقها عقبة ونكحت زوجها غيره.
- مثال آخر على الشبهة: أن رجلاً وجد ذبيحة ملقاة في مكان فهل يجوز أن يأكل منها؟ نعم يجوز، وهذه مسألة (المنبذة) في فتاوى علماء البلد الحرام، والمنبذ المتروك، فالمنبذة هي ذبيحة موضوعة في مكان ما، فهذه يجوز الأكل منها، كأن يجد أحد هذه المنبذة في الشارع فيعرفها ثم لا يتركها تنتن وتفسد فهذه يجوز أكلها والانتفاع بها وتبقى القيمة في ذمته لصاحبها. وهذا أيضاً في قطعة اللحم لأن الأصل في ذبائح أهل الإسلام والذبائح الموجودة في ديار أهل الإسلام أنها مذبوحة، لكن هذه السورع فيها أولى إلا إذا كان واضحاً أنها مذبوحة وأنها من حيوان حلال أكله فيجوز أكلها وتبقى القيمة في ذمته إذا جاء صاحبها وسأل عنها والأمر فيها قريب، لكن إذا لم تكن متأكداً من ذلك فالأولى أن تتركها.
- يوجد لهذا الحديث رواية أخرى (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة)
- سؤال: الناس الآن أموالهم مختلطة، ويضعون أموالهم في البنوك ففيها ربا، فما حكم الأكل عندهم؟  
الجواب: أليس له رأس مال أو وظيفة أو عائد أو إرث أو يدخر أموال أو... أم أن كل أمواله من أرباح البنك، فنعم يوجد اختلاط في المال، لكنه ليس قوياً جداً على الأرجح
- أما المختلط أمواله ويكثر فيها الحرام تكره معاملته ولا تحرم، حتى يتيقن أن هذا المال من عين الحرام، وهذا نص عليه الإمام النووي في (الأذكار): (من أكثر ماله حرام تكره معاملته) بالبيع والشراء والتعامل معه فقال رحمه الله يكره ولم يقل يحرم، فلو تأكد مثلاً أن هذا الطعام الذي يأكله من جزء ماله الحرام فيحرم أن يأكل، وإذا لم يتيقن يكره فقط (أي تركه طاعة لله واحتساباً يثاب عليه)، أما إذا كانت هناك مشكلة تحدث بينك وبينه فالشيخ الألباني - رحمه الله - أفتى بأنك يجوز أن تأكل أو تشرب شيئاً بالقدر الذي تدفع به فساد ذات البين
- شخص يريد أبوه أن يزوجه من أرباح البنك الربوي، فهذا لا يأكل ولا يأخذ ولا يتزوج منها، إلا إذا كان حالته حالة المضطر الذي يجوز له أن يفعل الحرام، فيجوز أن يأكل أو يشرب ما يحفظ به حياته أو سلامة عضو من أعضائه أو نحو هذا فيجوز له أيضاً أن يأكل من هذا مال الأرباح الحرام هذا إن كان في حالة الاضطرار، وإذا اختلف السؤال اختلفت الفتوى



- ما حكم الاقتراض من شخص ماله في البنك؟ الاقتراض منه من عين المال الحرام فالبعد عنه أفضل على كل حال إلا للمضطر كما قلنا، ولو لم يتيقن أن هذه الأموال من الأرباح فيجوز الاقتراض وتحوز المعاملة كلها، إلا أن الترك أفضل وكما قلنا تكره معاملة من أكثر ماله حرام.
- جاري ابنه مغني، زرتة وأكلت عنده القليل من الفاكهة فهل ما أكلت حرام؟ قلنا أن الشيخ الألباني -رحمه الله- أجاز أن تأكل بالقدر الذي يدفع به فساد ذات البين، أما لو استطعت أن تتخلص من غير فساد لذات البين فذلك أولى، وهذا كله إذا علمت أن هذا المال من أموال الأغاني المحرمة أما إذا لم تعلم ما مصدر هذا المال أهو لجارك أم لابنه أم هو من ورث أم من عمل آخر شريف فهنا لا يحرم الأكل ولكن تتقلل من أجل وجود الشبهة.
- وقول الشيخ الألباني في حالة حدوث مسألة فساد ذات البين يكون بصورته فعلاً، لأن ممكن عدم أكلك يجعله يتوقف ويرتدع عن ما يفعله من حرام فلا تتساهل إلا إذا كان فساد ذات البين محققاً أي كانت ستحدث مشكلة أو شجار أو خلاف بين الأسرة
- والأفضل هنا الورع واستخدام المعارض بأن تقول أنك صائم (أي عن الحرام مثلاً أو صائم عن أي شيء) ولا تذهب في أوقات فيها أكل وتقول أنك على عجلة وهكذا...
- والصوم الإمساك عمومياً قال تعالى ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26] فقد يكون الصوم الإمساك عن شيء دون شيء، وحتى الصيام الشرعي فهو إمساك عن شيء دون شيء فهو إمساك عن تناول ما يدخل الجوف وليس عن الكلام



## الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ".  
حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: 2318] ، ابن ماجه [رقم: 3976].

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أي ما لا يهيمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال .  
وقال ﷺ لأبي ذر حين سأله عن صحف إبراهيم قال: «كانت أمثالا كلها ، كان فيها : أيها السلطان المغرور إني لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عن دعوة المظلوم فإني لا أردّها ، ولو كانت من كافر، وكان فيها [أي صحف إبراهيم]: على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات : ساعة ينجي فيها ربه ، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى ، وساعة يحدث فيها نفسه ، وساعة يخلو بذی الجلال والإكرام ، وإن تلك الساعة عون له على تلك الساعات، وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ، أن لا يكون ساعياً إلا في ثلاث : تزود لمعاد، ومؤنة لمعاش، ولذة في غير محرم ، وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون بصيراً لزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه، ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يقل الكلام إلا فيها يعنيه » .

قلت : بأبي وأمي فما كان في صحف موسى ؟ قال : «كانت عبراً كلها ، كان فيها : عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، وعجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها ، وعجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب ، وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً وهو لا يعمل »؟! .

قلت : بأبي وأمي هل بقي مما كان في صحفهما شيء؟ قال : «نعم يا أبا ذر { قد أفلح من تزكى \* وذكر اسم ربه فصلى \* بل تؤثرن الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى \* } إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى { [الأعلى: 14-19] إلى آخر السورة .  
قلت : بأبي وأمي أوصني ، قال : «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك كله » ، قال : قلت زدني ، قال : «عليك بتلاوة القرآن وادكر الله كثيراً فإنه يذكرك في السماء » ، قلت زدني ، قال : «عليك بالجهاد فإنه رهبانية المؤمنين » ، قلت زدني ، قال : «عليك بالصمت فإنه مطردة للشياطين عنك ، وعون لك على أمر دينك » ، قلت زدني ، قال : «قل الحق ولو كان مرأاً » ، قلت زدني ، قال : «لا تأخذك في الله لومة لائم » ، قلت زدني ، قال «صل رحمك وإن قطعوك » ، قلت زدني ، قال : «بحسب امرئ من الشر - ما يحيل من نفسه ، ويتكلف ما لا يعنيه . يا أبا ذر : لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسن كحسن الخلق » .

الشرح:

قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أي ما لا يهيمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال .

يعني: يقصد

يعني - في الحديث - : يهيم ، فلا يشتغل بما لا يهيمه من أمر الدنيا والآخرة

أما يعني: يأمر ، «إنك تحمل الكل وتفك العاني» العاني: الأسير، وقال ﷺ قبل وفاته «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان

عندكم» أي أسيرات فهن لا تخرج إلا بإذن زوجها ولا تنفق إلا بإذنه.

## الحديث الثاني عشر - الأربعين النووية

وقال ﷺ لأبي ذر حين سأله عن صحف إبراهيم قال: «كانت أمثالاً كلها، كان فيها: أيها السلطان المغرور إني لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عن دعوة المظلوم فإني لا أردّها، ولو كانت من كافر»

- السلطان: مصدر وليس اسم فهي ترادف السلطة أو السلطنة، فالمقصود أنه يدفع إلى الغرور للاشتغال بالمال والسلطان، فيبدأ بجمع الأموال لسهولة ذلك عليه ثم يغتر بقوته وسلطانه وتمكنه لزمام الأمور ومقدرات الناس، فهو يملك المقدرات -التي هي ما في أيدي الناس من الأموال والأحوال و..- ولكن لا يملك الأقدار التي هي بيد الله ﷻ، فهو يغتر بها تحت يده من هذه الأشياء
- فجمع الأموال ليس فيه فائدة أو مصلحة مرجوة بل هو فتنة وغرور لأنه ليس فيه فائدة
- كيف يرد دعوة المظلوم؟ بأن:
- 1. يمنع الظالم عن ظلمه
- 2. يأخذ حق المظلوم من الظالم ويرده عليه
- وفي كلتا الحالتين لن يحتاج المظلوم لأن يدعو
- فينبغي استدفاع الظلم ورد الحق لأصحابه وتعين الناس على ذلك ظالماً ومظلوماً كما قال ﷺ «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فتستجلب حقه إن كان مظلوماً وترده عن ظلمه إن كان ظالماً فتكون قد نصرته على شيطانه وعلى نفسه
- «فإني لا أردّها، ولو كانت من كافر» فدعوة المظلوم لا ترد

وكان فيها: على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى، وساعة يحدث فيها نفسه، وساعة يخلو بذی الجلال والإكرام، وإن تلك الساعة عون له على تلك الساعات

- ساعة يناجي فيها ربه: يصلي ويقرأ القرآن ونحوه، والاشارة هنا إلى الصلاة والتلاوة لأن روحهما مناجاة الرب ومناجاة الرب يلزمها التفكير في القول واستشعار حال مناجاة الرب فيحترم الموقف الذي هو فيه وإلا تكون عبادة ميتة، وهذا عبد الله بن عمر ؓ كان إذا وقف للصلاة ارتعدت فرائضه واصفر وجهه فهو يدرك أنه يقف بين يدي الله ويتلو كلام الله فيخاف ويخشى
- وساعة يتفكر في صنع الله تعالى: أي في خلقه تعالى وعظمته وما يفعل بعباده من الرحمة والإنعام وما في الخلق من إحكام الصنعة وتديره لها وغير هذا
- وساعة يحدث فيها نفسه: أي يناقش نفسه ويراجعها ويحاسبها، ماذا صنعت؟ وماذا تريد؟ وكيف تبلغ؟ ولم قصرت؟ وهكذا يحاسب نفسه ولا بد من هذه المحاسبة، فتناقشها لم أكثر اليوم من الكلام ثم نمت وأصبحت وهكذا وليس هناك وقت لكي تناقش نفسك.
- وساعة يخلو بذی الجلال والإكرام: أي يكون له خلوة بعيدة عن الناس يتعبد ويخلص لله تعالى حيث لا يرى أحداً ولا يراني أحداً، وهذه تختلف ساعة يناجي فيها ربه؛ لأنه يناجي ربه في صلاة الجماعة مع الناس، وليس هذا المقصود بساعة يخلو بذی الجلال والإكرام، ولكن المقصود منها أن يخلو، فلا بد للفرد من خلوة يخلو فيها مع ربه يتعبد ويستغفر ويدعو...
- وإن تلك الساعة عون له على تلك الساعات: أي أن تلك الساعة تعينه على القيام بالأوقات الباقية لأن العبادة فيها تكون بينك وبين الله لا يطلع عليها أحد لا أثنائها ولا بعدها،

وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ، أن لا يكون ساعياً إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، ومؤنة لمعاش ، ولذة في غير محرم

- تزود لمعاد: معاد أي مرجع ، أي يعود يوم القيامة ، وتختلف عن معاد
- ومؤنة لمعاش: أي يحتاج لضرورات تعينه على طاعة الله ﷻ ، كأن يكون عليه دين أو يريد المال للزواج ، والمقصود المعاش الضروري الذي يعينه على إقامة حياته ليتزود أيضاً لمعاد ، ولا يقصد التوسع في المعيشة واكتساب ما لا ينفعه في الآخرة
- ولذة في غير محرم: وهو أن يكون طلبه للذة والنعيم في غير محرم ، فيطلب الحلال ويعف نفسه ويستعين على عبادة ربه ، كأن يخرج في رحلة لكي يروح عن نفسه وأولاده ليقبوا على طاعة الله فهذا جائز طالما لم يوجد محرم

وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون بصيراً لزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه ، ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يقل الكلام إلا فيما يعنيه

- شأنه أو شأنه: كلاهما صحيح لأننا قلنا أن بعض العرب يخفي الهمزات ولا ينطقوها كقوله: السادة العلماء، وقرأ القرآن كذلك في قراءة نافع بتسهيل الهمزات فقد قرأ (قد أفلح المؤمنون) وليس (المؤمنون)
- بصيراً بزمانه: أي يعرف ما الذي يجري من حوله ، يعرف من أحبابه ومن أعداؤه ، فيكون عاقلاً يعلم من ينفعه ومن يضره
- فالمرء يعرف أحوال زمانه من وجه ، وأحوال الدنيا والآخرة من وجه وقصر الدنيا وخلود الآخرة وعظم شأنها في مقابل الدنيا من آخر.
- الحق.. «أما هؤلاء الموجودون الآن فقال فيهم تعالى ﴿هَآأَنْتُمْ أَولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَمِيَكُمْ الْأَتَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
- بصيراً بزمانه: هذه قاعدة مهمة جداً يجب أن تعرف التاريخ المزور وتعرف ماذا يفعل الإعلام وماذا يضعون في التعليم وتعرف وزارة الثقافة وماذا تفعل بك و...
- مقبلاً على شأنه: أي لا يضيع وقته وقلبه فيما لا يفيد ، ولا يهرج ولا يثرثر ويضيع الوقت ، فهو باحث عن مصلحته ووظائفه من تلاوة وحفظ وذكر ومذاكرة وبر والدين ، فهو يبحث عما عليه من واجبات ومصالح فيبدأ بتقسيم وقته للقيام بها ، ولا يترك وقته لمن يتحدث معه ويضيع له وقته ، فيهتم بأموره لا يضيع وقته ولا ينصرف عن المهمات بأي طارئ يطرأ عليه من التفاهات .
- حافظاً للسانه: فيستعين على أن يكون بصيراً بزمانه ومقبلاً على شأنه بحفظ لسانه فكثرة الكلام هي التي تضيع الوقت والجهد والعزم ، فحفظ اللسان يساعد على كل الأعمال.
- ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يقل الكلام إلا فيما يعنيه: أي أن الذي يحسب الكلام من عمله سيجده جزءاً كبيراً جداً من عمله ، فالذي يكثر الكلام فيتكلم ويتكلم لو علم أن هذا الكلام جزءاً من عمله وأنه محاسب عليه سيقبل الكلام إلا فيما يعنيه

- كلها: توكيد معنوي، عبراً: اسم كان منصوب

كان فيها : عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك ...

- هذا لا ينبغي له أن يضحك إلا قليلاً، وإذا ضحك لا يكثر من الضحك سواء في عدد الأوقات أو صفة الضحك نفسها وكان ﷺ غاية ضحكه التبسم كانوا يقولون ضحك حتى بدت نواجذه الشريفة أي الأنياب والمراد أنه ضحك جداً فقد كان الضحك العادي ابتسامة لا تظهر الأسنان

وعجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح...

- لأنه خائف من الموت أن يأتيه في أي وقت وهذا لأجل كثرة وعظم المعاصي والأعمال السيئة التي نحن منغمسون فيها فلا يضمن أحد أن يغفر له ويعفى عنه ويكون من أهل الجنة أم أنه سيعاقب، فمهما كان عاملاً للعمل الصالح فلا يعلم هل سلم قلبه من الآفات المهلكة الموبقة أم لا؟! فإن كان لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فمن يضمن أن قلبه ليس كذلك؟! كذلك إذا كان الرجل يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً فمن يضمن أنه لم يقل قولاً كذلك؟!

وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها ...

- فيعيش ويصل إلى نهايته على هذا، فلا يطمئن المرء إلى الدنيا وليست الدنيا بمنجيته بها هو بصدده من العذاب والآخرة  
- وتقلبها بأهلها: أي أنه يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم هو يطمئن إليها، وهذا لأن رؤيته قاصرة لا يرى بعين الخبير أو أن هواه وشهوته تلهمه عن الفكر فلا يتفكر في حقيقة الدنيا أو يعميه الهوى أو هو ضعيف العقل «إن الهوى ما تولى يُضَم أو يصم» فلا يدري ولا يرى ولا يفسر ما يرى وهذا أبعد ما يكون فالأمر أوضح من هذا  
- فهو لا يدري ولا يسمع ولا يرى ولا يتفكر في ما حوله والله تعالى أمر بالتفكر في هذا

و عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب ، وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً وهو لا يعمل؟!.

قلت : بأبي وأمي هل بقي مما كان في صحفها شيء؟ قال : «نعم يا أبا ذر ﴿ قد أفلح من تركى ﴾ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ والآخرة خير وأبقى ﴾ إن هذا لفي الصحف الأولى ﴾ صحف إبراهيم وموسى ﴿ [الأعلى: 14-19] إلى آخر السورة .  
قلت : بأبي وأمي أوصني ، قال : «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك كله » ، قال : قلت زدني ، قال : « عليك بتلاوة القرآن واذكر الله كثيراً فإنه يذكرك في الساء » ، قلت زدني ، قال : « عليك بالجهاد فإنه رهبانية المؤمنين » ، قلت زدني ، قال : « عليك بالصمت فإنه مطردة للشياطين عنك ، وعون لك على أمر دينك » ، قلت زدني ، قال : « قل الحق ولو كان مرأاً » ، قلت زدني ، قال : « لا تأخذك في الله لومة لائم » ، قلت : زدني ، قال «صل رحمك وإن قطعوك » ، قلت : زدني ، قال : «بحسب امرئ من الشر ما يحفل من نفسه ، ويتكلف ما لا يعنيه . يا أبا ذر : لا عقل كالتيدير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسن كحسن الخلق ».



## الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".  
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 13]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 45].

شرح الإمام النووي-رحمه الله:-

قوله صلى الله عليه وسلم (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )): الأولى أن يحمل ذلك على عموم الأخوة، حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً، والحديث محمول على نفي الإيمان الكامل عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه. والمراد بالحببة إرادة الخير والمنفعة، ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية، فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتميز غيرها عليها، والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً، والحسد كما قال الغزالي: ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه.

الثاني: أن يتمنى زوال نعمة الغير وإن لم تحصل له كما إذا كان عنده مثلها أو لم يكن يحبها، وهذا أشر من الأول.

الثالث: أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير ولكن يكره ارتفاعه عليه في الحظ والمنزلة ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة، وهذا أيضاً محرم لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى: أَهْمُ ﴿ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف: 32]. فمن لم يرض بالقسمة فقد عارض الله تعالى في قسمته وحكمته. وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضى بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس.

الشرح:

أنس ابن مالك هو آخر الصحابة وفاةً وقد خدم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا شيء شريف جداً، لأن خدمة النبي صلى الله عليه وسلم معناها مصاحبته وعشرته وهذا أنفع شيء للإنسان في دينه ودنياه، فقد قال نافع: صحبت ابن عمر لأخدمه، ونافع هو أحد أئمة العلم، والخدمة هي الغطاء الذي استخدمه ليصحب ابن عمر رضي الله عنه، فمن يتشرف بخدمة العلماء يستفد، ولكن ابن عمر غلبه فقال نافع (فكان يخدمني أكثر مما أخدمه) فالصحابة رضوان الله عليهم لهم شأن آخر.

قوله صلى الله عليه وسلم (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )): الأولى أن يحمل ذلك على عموم الأخوة...

- الأخوة هي الموافقة في وصف من الأوصاف، فنحن لنا أخوة مع الأشقاء المولودين من الآباء والأمهات، كما لنا أخوة مع الأقارب والجيران ولنا أخوة مع المؤمنين، وهذه أخوة خاصة، ولنا أيضاً أخوة مع أهل بلدنا قال تعالى ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: 21]، ولنا أخوة مع عموم البشرية، ما هو الوصف المشترك بيننا وبينهم؟ أننا كلنا أولاد آدم ﷺ، كما لنا أيضاً أخوة مع الجن ما وجهها؟ أننا موضع التكليف فنحن مكلفين كما هم مكلفين، كما أن منا أهل الخير والشر ومنهم أهل الخير والشر كذلك قال تعالى حكاية عن قلوبهم ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ [الجن: 11] ومنهم المؤمنون والكفار، وقال ﷺ حين نهي عن الاستنجاء بالعظم ونحوه (إنه طعام إخوانكم من الجن)
- إذن فنحن لنا أخوة عامة مع كل الجن والإنس والملائكة فكلنا مخلوقات من خلق الله ﷻ، لكن هذه الأخوة تختلف فالأخوة مع الجن وعموم البشر تختلف عن الأخوة مع عموم المؤمنين، فللمؤمنين أوصاف زائدة في أخوتنا معهم، فأنت تحب لأخيك ما تحب لنفسك، فكما تحب لنفسك الإيمان والنجاة فتحب للإنس والجن الإيمان والنجاة، أما من آمن فله أوصاف زائدة في الأخوة، قال رسول الله ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد..)، فهذه الأخوة لعموم المؤمنين وليست لعموم الإنس والجن.
- لكن هل يوجد أخوة أخص؟ نعم، وهذه الأخوة الخاصة اتفاق بين فردين على مزيد من الحقوق والصفات التي لا تكون لعموم المؤمنين.
- من أوصاف الأخوة العامة لجميع المخلوقات هذا الحديث، أن يحمل على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم..

فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام..

- فللمسلم وصف أخص من عموم البشر

ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً...

- فحتى أعتى الناس كفراً وإيذاء تدعو له بالهداية، نعم تدعو للكافر، فالتبي ﷺ كان في الحرب ووجهه ورأسه يسيل دماً مما آذاه الكفار ودخل الحديد في رأسه ﷺ وتكسرت أسنانه، ثم بعد ذلك يسمعه ماذا يقول ﷺ فيجدوه يقول (اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون)
- فيدعو لهم بماذا؟ بالهداية ولا يدعو لهم إلا بها، لأن هذه هي التي ستنجيهم، فلا يدعو لهم بنعيم ولا راحة لأن كل ذلك لا قيمة له طالما لم توجد الهداية، أما عندما توجد ندعو لهم بالراحة والسعادة...

- وقد يدعو عليهم أيضاً إذا اشتد إيذاؤهم ولم يقبلوا وآذوا المسلمين وقتلوه، فدعا عليهم ﷺ عندما فعلوا ذلك فهذا يجوز عندما يفعلوا ذلك، لكن لا مانع أن تدعو لهم أحياناً، وحتى عندما دعا عليهم ﷺ قائلاً (اللهم العن رعلاً وزكوان وعُصية عصوا الله ورسوله) لم يستجب الله تعالى وأنزل تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: 128] وتاب الله عليهم وجاءوا إليه مسلمين صلى الله على النبي وآله وصحبه وسلم.
- فقد بعث ﷺ رحمة للناس وكان يحب لهم الرحمة، فجاءهم يوم الفتح بجيش لا قبل لهم به من عشرة آلاف مقاتل، وبعض الصحابة وقف في الحرب وقال اليوم يوم الملحمة أي ينتقمون ويبتطلون هذا الكفر ويقتلون أهله، فيفرحون بأن ينصر الله دينه ويدراً هذا الكفر ويمحقه، فقال له ﷺ: (لا، بل اليوم يوم الرحمة) فهذا اليوم ليس بيوم الملحمة بل الرحمة الذي يكثر فيه الرحمة لأنه يقدر على أن يمنهم من الكفر فيرحمهم.
- وكذا في يوم الفتح هذا عندما غدر أناس من المشركين وقتلوا من المسلمين وفعلوا ما فعلوا أمر النبي ﷺ بقتلهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة، لأنه جاء بالرحمة وهم لا فائدة منهم، فأمر بقتلهم وكان منهم عكرمة ابن أبي جهل وغيرهم ممن خالفوا وحرقوا وقتلوا وهجموا، ومع كل ذلك عندما جاءوا مسلمين قبلهم ﷺ فقبل عكرمة وغيره.

والحديث محمول على نفي الإيمان الكامل عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

- أي: (فلا يؤمن أحدكم) أي يصير كافراً، لا فالمراد أن إيمانه ناقص
- سؤال: هل يأثم؟ الإثم محله أن يترك التكليف تعمداً، فهو مكلف أن يجاهد نفسه ويعلمها ما يقتضي هذا، فهو إن ترك التعلم وترك المجاهدة قد يأثم.

والمراد بالحببة إرادة الخير والمنفعة..

- المحبة لها أوصاف منها هذا، أحب له الخير والمنفعة أي أريدها له، وعلى هذا قد يجتمع في القلب محبة وكره لنفس الجهة، يعني الكافر نحن نكره كفره، فاليهود يقتلوا في المسلمين لذا فنحن نكرهم من أجل هذا، لكن إن أخبرت أن هؤلاء اليهود اهتدوا أو اهتدى جزء منهم أو واحد منهم هل تكره هذا؟ لا بل نحب. إذن نحن اجتمعنا لدينا المحبة من هذا الوجه، والبغض من وجه آخر، إذن قد تجتمع المحبة والكره لشخص بعينه بهذا المعنى، أما المحبة بمعاني أخرى فلا تكون في القلب والتي مثالها: من أحب لله وأبغض لله...
- فنحن نكره اليهود الذين يكفروا ويعذبوا المسلمين ويصدوا عن سبيل الله من وجه، إنما نريد لهم الخير إذا اهتدوا فهذا حسن، فمن جهة الإرادة نعم نريد الخير مع كوننا نكرهم.

ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية، فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتميز غيرها عليها...



- فعندما يرى شخص أحداً آخر سوف يتدين يمكن أن يحسد قليلاً أو يحزن لأن الآخر تقدم وهو لا يزال كما هو، فهذا ينبغي له أن يذكر نفسه حتى يتمنى ويرجو لغيره الخير مع أنه يكره هذا بطبعه البشري لكن لا بد من أن يقاوم نفسه

والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه...  
وكان هذا الحديث يأتي مناسباً لما نحن عليه...

والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً، والحسد كما قال الغزالي: ينقسم إلى ثلاثة أقسام:  
الأول: أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه.  
الثاني: أن يتمنى زوال نعمة الغير وإن لم تحصل له كما إذا كان عنده مثلها أو لم يكن يحبها، وهذا أشد من الأول.

- فعند الأول ما هي إلا غيرة أن غيره لديه شيء وهو ليس لديه مثله  
- أما الآخر فعنده نفس هذا الشيء، لكن ذلك هو كاره، فهذا بالطبع أسوأ، لكن يكره أن يأتي الخير للناس، فعلى الرغم من امتلاكه لمثله يحزن، وهذا لشدة حقه على الناس

الثالث: أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير ولكن يكره ارتفاعه عليه في الحظ والمنزلة ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة، وهذا أيضاً محرم لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:32]، فمن لم يرض بالقسمة فقد عارض الله تعالى في قسمته وحكمته...

وهذا أمر خطير، أن يعارض فعل الله تعالى ولا يعجبه فعل الله ﷻ وحكمته

وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضى بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس.

- ويطمئن نفسه ويبعد عنها الحسد بهذا الذي ذكر أخيراً، وهذا أن يعرف أن الله تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة، فلا تقول لم أعطاه الله تعالى ولم يعطني؟ لا، فالله تعالى عدل ويتفضل ويعطي، فلا مجال للغيرة، لأن الله تعالى يعلم ما تستحقه أنت وما يستحقه هذا.  
- وهذا في الدين والدنيا، فلا يحسد أحداً أن آتاه الله تعالى من فضله في الدين وإلا يكون عنده رياء، لأن غيره سيشرّف وهو لا، إنما لو قلبه سليم ولا رياء عنده ولا تطلب للشرّف في الناس سيتمنى أن كل الناس تتدين.

- وقوله تعالى ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:26] هذا في ما هو محل التنافس، أي في ما لا يسع الجميع، أما ما يسع الجميع فالمفروض أنه لا كراهة في زيادة البعض أو عدم زيادتهم، فواحد يتعبد فصلي 8 ركعات وأنت صليت 4 ركعات فما الذي يضايقك؟ قم فصلي مثله هل هناك ما يمنعك، فالذي يدفعك رغبتك في تحصيل هذا الثواب، وليس الحسد وإن كان يدفع للعمل فإنه من الأمور الحرمّة، فنحن نريد الذي يدفع للعمل ابتغاءك للثواب وأن لا تفقده أبداً، إنما لو أخذه غيرك ترضى بما قسمه الله

تعالى لك، ومثال ذلك سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه عندما صلى الصبح يوم الجمعة ثم ذهب مسرعاً للاغتسال ليكون أول من يدخل المسجد، فوجد هناك ثلاث من الصحابة، فمتى جاء هؤلاء هو لم يضع أي وقت ليسبقه أحد، فلما رأى ذلك قال فما رابع ثلاثة بعيد، فيرضي بما قسمه الله له ويحمد الله، ولا ينقم على هؤلاء ويحقد عليهم ويتضايق منهم فلم يفعلوا لك شيئاً بل أنت الذي تكاسلت عن تحصيل الثواب..

فعندما يضع الصف الأول من أحد مثلاً يحزن، ولكن ذهنه غير متعلق بالأفراد اللذين سبقوه لكن يكون ذهنه متعلق بضيا ع الثواب منه، فيحزن لذلك، وكان السلف رضي الله عنه عندما يضع من أحدهم تكبيرة الإحرام يعزيه أصحابه ثلاثة أيام، فيظل حزينا جداً لمدة ثلاثة أيام حتى يهدأ قليلاً.

**أسئلة وتعليقات:**

— هل يجوز أن أقول للكافر يا أخي؟ الجواب: نقول له أنت أخونا في البشرية ونحن نحب لك الخير من باب الدعوة وليس من باب النفاق والمداينة، فإن كان هناك معنى للدعوة يمكن هذا.



## الحديث الرابع عشر

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ [يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله] إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [قم: 6878]، وَمُسْلِمٌ [قم: 1676].

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

قوله صلى الله عليه وسلم: (( الثيب الزاني )) المراد : من تزوج ووطء في نكاح صحيح ثم زنا بعد ذلك ، فإنه يرجم ، وإن لم يكن متزوجاً في حالة الزنا لاتصافه بالإحصان .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( والنفس بالنفس )) أي بشرط المكافأة فلا يقتل المسلم بالكافر ولا الحر بالعبد عند الشافعية ، لا الحنفية .  
قوله صلى الله عليه وسلم : (( والتارك لدينه المفارق للجماعة )) وهو المرتد والعياذ بالله تعالى ، وقد يكون موافقاً للجماعة كاليهودي إذا تنصر ، وبالعكس يقتل لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة ، وفيه قولان ، أصحها : لا يقتل بل يلحق بالمؤمن . والثاني : يقتل لأنه اعتقد بطلان دينه الذي كان عليه وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك ، وهو غير الحق فلا يترك بل إن لم يسلم يقتل ، وقد تقدم القتل أيضاً في صورة سبق الكلام عليها .

الشرح:

ابن مسعود هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود، من أكابر علماء الصحابة وكان قصيراً نحيفاً، وصعد الشجرة مرة فضحك الصحابة من دقة ساقيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد، فالإنسان يوزن مع عمله، فالإنسان نفسه له قيمة، وكان من أوائل من أسلم فكان من أكابر الصحابة، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم طريقته. وابتغى مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد هُزَيْل بن مدركة بن إلياس وهو أخو جد النبي صلى الله عليه وسلم وهو ليس قرشياً. ومات رضي الله عنه في زمن عثمان رضي الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبيعة.

قوله صلى الله عليه وسلم: (( الثيب الزاني )) المراد : من تزوج ووطء في نكاح صحيح ثم زنا بعد ذلك ، فإنه يرجم ...

- أي تزوج وجامع زوجته في نكاح صحيح [أي ذاق طعم الحلال]
- نكاح: أي عقد زواج صحيح، أما لو كان العقد فاسد فهو لم يتزوج، فكأنه إذن زنى مرة قبل هذه ثم زنى الآن والمرة الأولى كأنه زنى ونكاح فيه شبهة ونقول ببطلانه
- حد الزنى الرجم إن كان -أو لم يزل- متزوجاً قبل هذا في نكاح صحيح، أو الجلد والتغريب عاماً إن لم يسبق له الزواج
- والزنا يُقصد به هنا الزنا الكامل، لأن اللبس والنظر ونحوه من الزنا أيضاً ولكنه ليس بالزنا الكامل الذي فيه الحد، أما الزنا الكامل فهو الوطء، أي إدخال الذكر في الفرج بين الرجل والمرأة، أما غير ذلك أو ما كان بين الرجل وغير المرأة فلا يُسمى زناً وليس الحد المختص به كالحديث في غيره، وإن كان العلماء قالوا إن حد اللواط كحد الزنا أي القتل وإن اختلفت الطريقة، فقبل النكاح فيه الجلد وإن كان ثيباً فالقتل، وبعضهم عمم القتل على كل حال في اللواط (وهو اللواط في الدبر) ويُقتل الفاعل والمفعول به.

## الحديث الرابع عشر - الأربعين النووية

... وإن لم يكن متزوجاً في حالة الزنا لاتصافه بالإحصان .

أي كونه تزوج قبل أن يزني سواء كان متزوجاً أو كان مطلقاً أو أرملًا أو.. المهم أنه ذاق طعم الحلال وهذا يكون محصاً.

قوله صلى الله عليه وسلم: ((والنفس بالنفس)) أي بشرط المكافأة فلا يقتل المسلم بالكافر ولا الحر بالعبد عند الشافعية ، لا الحنفية.

إن قتل مؤمن إنساناً قتلاً عمداً يؤخذ بهذا المقتول فيقتل به، وإن كان قتله خطأ فعليه دية وصيام شهرين ولا يقتل.

كيف يعرف القتل العمد من غيره؟

القتل إما:

1. قتل عمد

2. قتل شبه عمد

3. قتل خطأ

1. القتل العمد؛ ويعرف بـ:

أ. الإقرار: فيقر القاتل بأن قتله كان عمداً، أما إن لم يكن هناك إقرار وكان هناك بينة..

ب. البينة: والبينة في الشريعة هي شهادة رجلين عدلين، فيشهدا بأنه قتل عمداً بأن يقول لهما مثلاً أنه ذاهب ليقتل، وإن لم يوجد هذا ينظر للآلة..

ج. الآلة أو أداة القتل: إن كانت شيء يقتل غالباً مثل السكين أو المسدس فهي قرينة على إرادة القتل. فإن قصد إصابة إنسان باستعمال تلك الآلة - وإن لم يقصد القتل وقصد الإصابة فقط - يكون قتلاً عمداً. أما إذا كانت الآلة لا تقتل غالباً مثل الحجر والعصا ولم يقصد القتل بل قصد الإذابة فقط فهو ليس قتلاً عمداً لأنه يحتمل الشجار فقط. لكن إن كانت الآلة كذلك لكنه قصد القتل بها فهو قتل عمد أيضاً. نية أو قصد القاتل يحددها القاضي بناءً على ما لديه من حال القاتل والمقتول وما بينهما من مودة أو عداوة وكره وضعينة.

دية القتل العمد: القصاص، أو الفدية على ما يشاء أولياء القتيل

2. القتل شبه العمد؛ وهو لو قصد القاتل الإصابة والضرر ولم يتوفر لديه قصد القتل واستعمل آلة غير قاتلة غالباً كاللحجر والعصا لكن الشخص كان ضعيفاً أو مريضاً فمات، وفيه دية وليس قصاصاً ولكنها أشد من دية القتل الخطأ.

دية القتل شبه العمد: مائة ناقة أربعون منها في بطونها أولادها، الناقة: حوالي 5000 جنيه تقريباً.

3. القتل الخطأ؛ وفيه لا يقصد القاتل إصابة المقتول أو إذابته أصلاً ومثاله أن يسقط منه شيء فيقتله أو يخطئ أثناء ذبح شيء فيصيبه أو يقتله بالسيارة في طريق مظلم أو يحفر حفرة فيقع فيها المقتول وهكذا..

حد القتل الخطأ: تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله - أي أهل المقتول - فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين عن الدية وتحرير الرقبة.

## الحديث الرابع عشر - الأربعين النووية

لم وجد الحد في القتل الخطأ؟ للتكفير عن إهماله وعن حرمة الدم الذي أهدره وحتى يكون هناك احترام لهذه الروح ولا يتهاون الناس في هذا الأمر- هذا مع أن الخطأ الإثم مرفوع عنه.

الدية في القتل الخطأ : 4.5 كجم من الذهب الخالص = 1000 دينار ~ 340 ألف جنيه

1000 دينار \* 4.25 = دينار \* 80 جنيه / جم = 340,000 جنيه

أما المعدم أي الذي لا يجد مالاً فما حكمه؟ في السعودية يحبس حتى يظهر له أهل أو يظهر مال كان مخفيه أو... في مصر- يحبس 6 أشهر!!

القصاص و النفس بالنفس يكون في القتل العمد أما في غيره فالنفس لا يقابلها النفس بل يقابلها جزء من مال المقتول. إذن شروط القصاص:

1. القتل العمد

2. المكافأة

المكافأة في الزواج: أن يكون الزوج كفئاً لأولياء الزوجة وهذا شرط في الزواج.

المكافأة في القتل: أن يتفقا في الإسلام فلا يقتل مسلم بكافر، وإن قتل مسلم كافراً لا يقتل به بل يكون هناك أحكام أخرى:

— إن كان الكافر محارباً : فليس له قيمة

— إن كان الكافر ذمياً أو معاهداً أو مستأمن: له دية عند المسلمين

— الكافر المعاهد: أي بيننا وبينهم عهد

— الكافر الذمي: أي من يعيش في بلاد الإسلام من أهل الكتاب وبيننا وبينهم عقد ذمة

— الكافر المستأمن: أي هو كافر محارب ولكنه دخل بلاد المسلمين لمصلحة أرادها المسلمون مثل التفاوض

— فمن قتل أياً من هؤلاء خطأ عليه الدية، وعليه الدية والتعزير- أي العقوبة- إن كان قتله عامداً، فمن يقتل من منع الحاكم قتله يعزر لأن هذا افتئات عليه وتصرف بغير إذنه

— قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء 92، 93] أما إذا كان من قوم عدو لكن -مثل اليهود- وقد آمن ولم نعرف فعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة فقط لكي لا نعطيهم أموالاً يحاربونها، أما إن كان من قوم بيننا وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة لأنهم لا يحاربوننا بهذا المال ، وهنا كان الدفع لأن المسلمون عند عهودهم

— ومن المكافأة في القصاص أيضاً المكافأة في الحرية ولذا قال « ولا الحر بالعبد » لأن العبد مال فلا يقتل الحر بالعبد بل إن قتله دفع ثمنه، وإن كان بغير ذنب يعزر أيضاً كأن يعذب أو يسجن بحسب المصلحة الشرعية لأنه أتى بمنكر.

## الحديث الرابع عشر - الأربعين النووية

- وهذا قول الشافعية فقالوا أن العبد روح ومال ولكن المالية فيه أكثر، أما غيرهم فقالوا لا يشترط الحرية في المكافأة لأنهم قالوا أن الأدمية في العبد أكثر من المالية.
  - إذا قتل كافر مسلماً حراً كان أو عبداً يقتل به.
  - إذا قتل عبد عبداً آخر فهل تقتل هذا العبد مع أن هذا فيه إفساد لمال سيده؟ خلاف بين العلماء
- قوله صلى الله عليه وسلم: (( والتارك لدينه المفارق للجماعة )) وهو المرتد والعياذ بالله تعالى، وقد يكون موافقاً للجماعة كاليهودي إذا تنصر، وبالعكس يقتل لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة، وفيه قولان، أصحها: لا يقتل بل يلحق بالمؤمن. والثاني: يقتل لأنه اعتقد بطلان دينه الذي كان عليه وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك، وهو غير الحق فلا يترك بل إن لم يسلم يقتل، وقد تقدم القتل أيضاً في صورة سبق الكلام عليها.
- المفارقة للجماعة المسلمين إما أن تكون:
1. مفارقة تامة: وهي الردة والعياذ بالله تعالى، فهنا لم يعد المرتد مسلماً ففارق الجماعة من جهة الوصف أي وصف الإسلام وهو أهم الأوصاف.
  2. مفارقة غير تامة: وهي غير الردة، وهذه لا يقتل بها، ولها أحكام وليست مقصودة الآن.
- الموافقة للجماعة: أي يكون في ديار المسلمين ويحتكم إليهم وينضبط بشرعهم ويعطيهم الذمة ويلتزم بالأحكام التي تفرض عليه، مثل اليهود والنصارى الذين يعيشون في بلاد الإسلام.
  - المسألة التي ذكرها الإمام النووي - رحمه الله - إذا ارتد اليهودي إلى النصرانية أو العكس ولم يسلم، هذا ليس من جماعة المسلمين ولكنه منضوي تحتهم فهو ليس منهم لكنه معهم في المعيشة والمكان وهذا يقتل أيضاً لحديث «من بدل دينه فاقتلوه» وهذا لأن الشرع ترك اليهود والنصارى في بلاد الإسلام وحكم على بقية الكفار بالطرد والقتل إذ لم يسلموا لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى عندهم ما يثبت لهم نبوة النبي محمد ﷺ، وقالت أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي عند فتح خيبر «كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر لم ألقها قط مع ولدها إلا أخذاني دونه. فلما قدم رسول الله المدينة، غدا عليه أبي وعمي مغسلين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالين ساقطين يمشيان الهويني فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي أحد منهما مع ما بهما من الغم. وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال نعم والله. قال عمي: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ أجاب: عداوته والله ما بقيت»
  - لذا تركوا في بلاد الإسلام لعلمهم أن يسلموا إذا تذكروا وفكروا فيستبين لهم الحق فيسلموا. وهذا الترتك إلى حين نزول سيدنا عيسى عليه السلام فينزل آخر الزمان فيكسر الصليب ويضع الجزية أي يلغي الجزية فمن أسلم سلم ومن كفر يموت وهو الكافر لا يشم نفسه كافر إلا مات.
  - إذن من عرف وارتأى بطلان دينه ثم تحول إلى ملة أخرى فليس في بقاءه في ديار الإسلام فائدة ولذا يقتل. والقول الآخر أنه لا يقتل ولكن يلحق بالمؤمن.

## أسئلة وتعليقات:

## الحديث الرابع عشر - الأربعين النووية

- لا يجوز لأحد أن يقيم الأحكام والحدود بل يقيمها الحاكم أو القاضي لأنها لو تركت لعامة الناس لدخل في تطبيق الأحكام الأهواء والضغائن الشخصية فيصير الأمر إلى الفوضى، إذن إن أقام أحد الناس الحد بنفسه فهذا يَأْثَمُ ويعاقب ويعزر.
- إذا كان الطبيب يقوم بجراحة طبية ومات المريض نتيجة إهماله واستهائته بحياة المرضى فهذا يكون قتلاً خطئاً، أما لو كانت نسبة نجاح العملية ضئيلة أصلاً وعلم أهل المريض هذا فلا دية عليه.
- في القتل العمد يجوز لأهل القتل أن يعفو عن القاتل حتى بعد أن يرفع الأمر إلى الحاكم ويقضي القاضي ويقف السيف.
- في السرقة لا عفو إذا رفع الأمر إلى الحاكم أما قبل رفع الأمر إلى الحاكم فيجوز العفو.



## الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [قم: 6018]، وَمُسْلِمٌ [رقم: 47].

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

قوله صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)) قال الشافعي - رحمه الله تعالى -: معنى الحديث :  
إذا أراد أن يتكلم فليفكر، فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أن فيه ضرر أو شك فيه أمسك. وقال الإمام الجليل أبو محمد ابن أبي  
زيد إمام المالكية بالمغرب في زمنه : جميع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي صلى الله عليه وسلم ((من كان يؤمن بالله واليوم  
الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))، وقوله صلى الله عليه وسلم :  
للذي اختصر له الوصية: (( لا تغضب ))، وقوله: (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )) .  
ونقل عن أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى أنه قال : السكوت في وقته صفة الرجال ، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال. قال :  
وسمعت أبا علي الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس . وكذا نقله في ((حلية العلماء)) عن غير واحد. وفي ((حلية  
الأولياء)) أن الإنسان ينبغي له أن لا يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه ، كما أنه لا يتفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه وقال : لو كنتم تشترون  
الكاغد للحفظة لسكنتم عن كثير من الكلام . وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه)) وروي  
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (( العافية في عشرة أجزاء : تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله تعالى عز وجل )) . ويقال : من سكت  
فسلم ، كمن قال فغنم . وقيل لبعضهم: لم لزمتم السكوت ؟ قال : لأن لم أندم على السكوت قط، وقد ندمت على الكلام مراراً. ومما قيل:  
جرح اللسان كجرح اليد، وقيل : اللسان كلب عقور إن خلي عنه عقر . وروي عن علي رضي الله عنه .

ليس يموت المرء من عشرة الرجل	يموت الفتى من عشرة من لسانه
وعثرته بالرجل تبرى على المهمل	فعثرته من فيه ترمي برأسه
	ومما قيل:
كلامه قد يعد قوت	قد أفلح الساكت الصموت
جواب ما يكبره السكوت	ما كل نطق له جواب
مستيقن أنه يموت	وا عجباً لا مرى ظلوم

قوله صلى الله عليه وسلم : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)).  
قال القاضي عياض : معنى الحديث : أن من التزم شرائع الإسلام ، لزمه إكرام الضيف والجار . وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((ما زال  
جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)).



## الحديث الخامس عشر - الأربعين النووية

وقال صلى الله عليه وسلم (( من آذى جاره ملكه الله داره )) . وقوله تعالى : {والجار ذي القربى والجار الجنب} [النساء:36].

الجار يقع على أربعة : الساكن معك في البيت . قال الشاعر :

أجارتنا بالبيت إنك طالق

ويقع على من لاصق لبيتك، ويقع على أربعين داراً من كل جانب، ويقع على من يسكن معك في البلد، قال الله تعالى : {ثم لا يجاورنك فيها إلا قليلاً} [الأحزاب:6] فالجار القريب المسلم له ثلاثة حقوق، والجار البعيد المسلم له حقان ، وغير القريب المسلم له حق واحد .

والضيافة من آداب الإسلام ، وخلق النبيين والصالحين ، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة ، واختلفوا : هل الضيافة على الحاضر والبادي ، أم على البادي خاصة ؟ فذهب الشافعي ، ومحمد بن عبد الحكم إلى أنها على الحاضر والبادي . وذهب مالك وسحنون : إلى أنها على أهل البوادي ، لأن المسافر يجد في الحضر المنازل في الفنادق ومواضع النزول وما يشتري من الأسواق وقد جاء في حديث : (( الضيافة على أهل الوبر وليست على أهل المدر )) . لكنه حديث موضوع .

الشرح:

قوله صلى الله عليه وسلم : (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ))

خيراً: أي شيء له فائدة ويطمئن أن له فائدة أو يغلب على ظنه أن به فائدة

قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: معنى الحديث : إذا أراد أن يتكلم فليفكر، فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أن فيه ضرر أو شك فيه أمسك . وقال الإمام الجليل أبو محمد ابن أبي زيد إمام المالكية بالمغرب في زمنه : جميع آداب الخير تنفع من أربعة أحاديث: قول النبي صلى الله عليه وسلم (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ))، وقوله صلى الله عليه وسلم : (( من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ))، وقوله صلى الله عليه وسلم : للذي اختصر له الوصية : (( لا تغضب ))، وقوله : (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )) .

ونقل عن أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى أنه قال : السكوت في وقته صفة الرجال ، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال . قال : وسمعت أبا علي الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس .

كيف يمدح الإمام النووي (و هو شافعي) مالكيًا؟ لأنه لا تعصب، والاختلاف في المذاهب لا يضر في شيء، إنها هو اختيار منهج أصول والقواعد، وطريقة الاجتهاد في الفقه، وهذا لا يؤثر في شيء، والإمام الشافعي كان تلميذ الإمام مالك وكان يحب كل منهما الآخر، وكان الإمام أحمد تلميذ الإمام الشافعي وكان كل منهما يحب الآخر ويدعو له في السجود وغيره... وقد زار الإمام الشافعي الإمام مالك مرة فوجد على بابه خيولاً وأموالاً أرسلها له إمام أهل مصر (ولم يكن مالكيًا) فقال له الإمام الشافعي (للإمام مالك) إن الدنيا أمام بيتي، فأخبره أن يقسمها ويأخذ نصفها، وكان الإمام الشافعي في المدينة، فلما رجع مكة، دخلها مديونا، لأنه تصدق بكل المال، ثم اقترض .

معناها أنه لا يسكت مطلقاً ويترك الواجبات من القول بل يجب عليه الإفتاء إن كان مفتياً ويجب عليه التعليم إن كان معلماً ويجب عليه الدعوة إن لم يقم بها غيره ويجب عليه الأمر والنهي إن لاقاه من يستحق الأمر والنهي ، كل هذه أمور واجبة..

لماذا صفة الرجال؟

## الحديث الخامس عشر - الأربعين النووية

- 1- لأن النساء يحبون الكلام سواء بفائدة أو بغير فائدة (ويجب أن يدربن أنفسهن على السكوت إلا لو كان الكلام بفائدة).
  - 2- الرجولة فيها إشارة للقوة (بينما النساء (أَوْ مَنْ يُشَأُّ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ )، وورد قوله تعالى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَوَقَّيْنَاهُمْ مَنْ قَصَصَ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)، فلم يبدلوا كلامهم، وكذا العامة يقولون: (ده كلام رجالة)... فالرجولة لها أوصاف منها الصدق والوفاء، وهذا يحتاج مشقة، فكما أن ذلك يحتاج مشقة فكذلك منع النفس من الكلام فيه مشقة ويحتاج لرجولة، لأن الكلام فيه لذة مثل السخرية والمزاح، فامنع نفسك قبل أن ينقلب إلى عناء وعذاب يوم القيامة.
- وما معنى: في وقته؟ وهل السكوت مطلوب في كل حال؟ مثلاً إذا رأيت لصاً يسرق أخيك، أو واحداً يغرق وأنت لا تعرف العموم، أو واحداً لا يعرف الصلاة ويسألك أن تعلمه ..... إذن فالكلام أحياناً يكون 1- واجبا كما في الواجب، 2- مستحبا كما في الدعاية إلى مستحب وإعانة من يفعل المستحب. وأحياناً الكلام في المستحبات 1- مستحبا، 2- واجبا مع أنك تعين على مستحب، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له أحكام، فأحياناً يكون واجبا وأحياناً مستحبا.
- إذن، السكوت في وقته أي الوقت الذي يستدعي السكوت مثل 1- إن لم تكن هناك فائدة من الكلام، 2- أن تكون غير متأكد من أن الكلام فيه فائدة.

وكذا نقله في ((حلية العلماء)) عن غير واحد.

حلية العلماء: كتاب ذكر فيه العلماء وأسيائهم وأحوالهم، حلية الأولياء: كتاب ذكر فيه العباد كذلك

وفي ((حلية الأولياء)) أن الإنسان ينبغي له أن لا يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه، كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه وقال: لو كنتم تشترون الكاغد للحفظه لسكنتم عن كثير من الكلام.

معناها أن كلامنا كثير ونحن غير متبهرين لذلك ومن كثرة كلامه كثر سقطه..

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه)) وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((العافية في عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله تعالى عز وجل)).

ويقال: من سكت فسلم، كمن قال فغنم.

هذا الكلام غير صحيح، الصحيح أن الكلام في موضعه والسكوت في موضعه فإذا لم تتأكد أن الكلام به فائدة فأسكت، لأن من قال وعظاً أو دعوة أو نصحاً أو تعليماً أو أمراً ونهياً ليس كمن سكت، إلا أن يقال هذا في أمر الدنيا، لكن قوله «سلم» يشمل السلامة من عذاب الدنيا والآخرة وهذا لا يكون إن سكت عن الواجبات

وقيل لبعضهم: لم لزمتم السكوت؟ قال: لأن لم أندم على السكوت قط، وقد ندمت على الكلام مراراً. ومما قيل: جرح اللسان كجرح اليد

جرح: يفتح الجيم المعجمة - جرح اللسان كجرح اليد أي أن اللسان يجرح كما تجرح اليد، أما جرح اللسان - بضم الجيم المعجمة -

أي: اللسان نفسه مجروح

أي: خلى عنه: أي ترك

## الحديث الخامس عشر - الأربعين النووية

وقيل : اللسان كلب عقور إن خلي عنه عقر . وروي عن علي رضي الله عنه :

يموت الفتى من عشرة من لسانه	وليس يموت المرء من عشرة الرجل
فعرثته من فيه ترمي برأسه	وعرثته بالرجل تبيري على المهل
ومما قيل:	
قد أفلح الساكنات الصموت	كلامه قد يدعد قوت
ما كل نطق له جواب	جواب ما يكوره السكوت
وا عجباً لا مرى ظلوم	مستيقن أنفه يموت

- عثرته من فيه: أي من فهمه.
- ترمي برأسه: أي تهلكه قال ﷺ إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً يهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً .... الحديث
- عثرة الرجل تبرأ: أي تشفى على مهلاً أما عثرة اللسان فتلقى في النار
- قوت: هذا من الخطأ في الشعر، الصحيح قوتاً لأنها مفعول به ثان
- وا عجباً: أسلوب تعجب ، امرئ : إنسان
- ظلوم : صيغة مبالغة من الظلم
- مسيقن أنه يموت: المعنى أن عجباً لامرئ يتيقن أن يموت ومع ذلك يظلم بالكلام

قوله صلى الله عليه وسلم : (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه )) .  
قال القاضي عياض : معنى الحديث : أن من التزم شرائع الإسلام ، لزمه إكرام الضيف والجار . وقد قال صلى الله عليه وسلم : (( ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه )) .

أي سيجعل الجار يرث مثل القرب [لعظيم حقه]

وقال صلى الله عليه وسلم (( من آذى جاره ملكه الله داره )) .

لعله مثل سائق ليس بحديث، ومأخذه من كتاب الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ \* وَلَتُسْكَنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾

وقوله تعالى ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: 36] .

وحق هؤلاء الإحسان قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾  
الجار يقع على أربعة : الساكن معك في البيت . قال الشاعر :

## الحديث الخامس عشر - الأربعين النووية

أجارتنا بالبيت إنك طالق

ويقع على من لاصق لبيتك، ويقع على أربعين داراً من كل جانب، ويقع على من يسكن معك في البلد، قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ لَا يَجَاورُنْكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 6]

وعلى حسب السياق يفهم المقصود

فالجار القريب المسلم له ثلاثة حقوق

1. حق الإسلام وهذا عام لجميع المسلمين

2. حق القرابة أو القرب

3. حق الجوار

والجار البعيد المسلم له حقان..

1. حق الإسلام

2. حق الجوار

وغير القريب المسلم له حق واحد .

حق الإسلام

والضيافة من آداب الإسلام، وخلق النبيين والصالحين، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة ...

واختلفوا : هل الضيافة على الحاضر والبادي ، أم على البادي خاصة ؟ فذهب الشافعي ، ومحمد بن عبد الحكم إلى أنها على الحاضر والبادي . وذهب مالك وسحنون : إلى أنها على أهل البوادي ، لأن المسافر يجد في الحضر المنازل في الفنادق ومواقع النزول وما يشتري من الأسواق

هل الضيافة على أهل القرى والمدن وأهل البادية أم على أهل البادية خاصة ؟ اختلفوا ، فلو واحد جاء إلى القاهرة تضيافته، لكن قال مالك وسحنون - من كبار أصحاب مالك - أنها على أهل البادية فقط لأنه ليس هناك مرافق أما المدن فهناك منازل - جمع نزل وهي مكان للمبيت بالأجرة - والطعام والشراب متوافر .

فنقول إذا لم يتيسر له الحال في المدينة فيجب إضافته أيضاً، لو تيسر له الحال وكان عنده مال لا يجب

وقد جاء في حديث : (( الضيافة على أهل الوبر وليس على أهل المدر )) . لكنه حديث موضوع .

"المدر" : الطمي الزراعية ( أهل المدن والقرى )

- "الوبر" : شعر الإبل ( أهل البادية )

### أسئلة وتعليقات:

- لو كلمني أحد فوجدت أن الرد الذي يناسبه لا يليق أو قد يكون فيه ضرر فصمتُ وأستفزه صمتي فهل أثم على عدم الرد ؟

- الجواب : تقدر المفاسد والمصالح ، فإذا سكت يكون هناك ضرر وإذا تكلمت يكون هناك ضرر أيضاً، إذاً ترتكب أخف الضررين ،

وإن أمكنك أن تفعل شيء بدون ضرر إذاً يتعين هذا .

## الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي . قَالَ : لَا تَغْضَبْ ، فَرَدَّدَ مَرَارًا ، قَالَ : لَا تَغْضَبْ .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 6116].

شرح الإمام النووي - رحمه الله -:

قوله ﷺ (( لا تغضب )) معناه لا تنفذ غضبك، وليس النهي راجعاً إلى نفس الغضب، لأنه من طباع البشر، ولا يمكن الإنسان دفعه . وقوله عليه الصلاة والسلام : (( إياكم والغضب فإنه جمة تتوقد في فؤاد ابن آدم، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه وتتنفخ أوداجه ، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليضجع أو ليلصق بالأرض )) . وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني علماً يقربني من الجنة ويبعدني من النار قال: (( لا تغضب ولك الجنة )) . وقال ﷺ: (( إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفئ النار الماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ )) . وقال أبو ذر الغفاري : قال لنا رسول الله ﷺ : (( إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضجع )) . وقال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام : إني معلمك علماً نافعاً : لا تغضب . فقال : وكيف لي أن لا أغضب ؟ قال إذا قيل لك ما فيك فقل : ذنب ذكرته أستغفر الله منه ، وإن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيرت به ، وهي حسنة سقت إليك . وقال عمرو بن العاص : سألت رسول الله ﷺ عما يبعدني عن غضب الله تعالى قال : (( لا تغضب )) . وقال لقمان لأبنته : إذا أردت أن تؤاخي أخاً فأغضبه ، فإن أنصفك وهو مغضب ، وإلا فاحذره .

الشرح:

- ردد مراراً: أي قال أوصني قال لا تغضب، قال أوصني قال لا تغضب ..... كلما قال له أوصني قال لا تغضب.
- هل هذا يعني أن الرجل لا يؤمر إلا بترك الغضب؟ لا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم علم أنه رجل حديد (أي عنده حدة) وأنه لا يمسك هذه الحدة وينفذ غضبه، فأخبره ﷺ بما يناسبه وأنه لما يلتزم هذا فإن هذا يصلحه.

قوله ﷺ (( لا تغضب )) معناه لا تنفذ غضبك، وليس النهي راجعاً إلى نفس الغضب، لأنه من طباع البشر، ولا يمكن الإنسان دفعه.

- نقول بل يمكن للإنسان أن يدفع الغضب أصلاً عن نفسه، فإنما الحلم بالتحلم، إذن يدفع الغضب بأن يتكلف ويجهد في تحصيل هذه الصفة ويفعل ما سيأتي ويذكر نفسه بأن الحلم له فائدة دنيوية كما له فائدة أخروية في دفع الغضب، فإن مع هذا حصل له الغضب لا يبني على هذا الغضب فلا يضرب ولا يشتم ولا يهيج .... الخ، بل يكظم غيظه
- "لا يمكن للإنسان دفعه" : أي لا يمكن دفعه بالكلية فهذا لا يمكن ولكن قلنا أنه ممكن أن يهدئ نفسه ويتحلم -أي يتكلف الحلم- حتى يصير حليماً ويزول عنه قدر كبير من الغضب، فإن بقي له قدر يسير استطاع أن يمنع نفسه من إنقاذ هذا الغضب فلا يضرب ولا يشتم ولا يهيج .... الخ.

## الحديث السادس عشر - الأربعين النووية

- إذا استثير الإنسان فإنه يغضب ، هل يستطيع الإنسان أن لا يغضب ؟ ما الذي يؤمر به أن لا يغضب أم لا ينفذ غضبه أن لا يهيج ويثور ويصر ويؤذي بسبب هذا الغضب أو يسيء أو يحكم حكماً غير صحيح أو يتسرع في فتوى أو قضاء أو نحوه ، الإمام النووي يقول " لا تنفذ غضبك " أما الغضب فهو شيء جبلي ، والتوجيه هنا والله أعلم توجيهان وليس توجيهاً واحداً ،
- لا تغضب قد يكون على ظاهره وهو أن توطن نفسك وتدريب نفسك وتذكر نفسك بما يستدعي أنك لا تغضب ، تمالك أعصابك وذكر نفسك أن الدنيا كلها ليس لها فائدة وأنه لو أذاك أحد فهذا يجعلك تأخذ من حسناته وأن الدنيا زائلة وأن الأنبياء أودوا وصبروا ، وفي هذه الحالة إذا استثارك أحد لم تغضب ، ويكون النهي هنا له محل ، وطن نفسك أنك لا تغضب ،

وقوله عليه الصلاة والسلام : (( إياكم والغضب فإنه جمة تتوقد في فؤاد ابن آدم ، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليضجع أو ليلصق بالأرض )) .

- فؤاد يعني قلب ، والجمة شيء مشتعل فانطفأ فبقي فيه شيء من الحرارة مثل الجمر الذي يشوون عليه .
- " ..... أوداجه " الأوداج هي العروق ، على جانبي الرقبة عرقين كبيرين اسمهما الودجَيْن وهذان لهما حكم في تزكية الأنعام وغيرها من المأكول ، فالشرط في الذبح قطع مجرى النفس ومجرى الطعام وهو المريء والقصة الهوائية وكمال الذكاة أن يقطع الودجين كي يخرج الدم ولا يبقى في اللحم فيفسده ويضر الآكل ، حكمة الله في هدايتنا إلى النافع في كل أمر ،
- هذا الحديث ضعيف ، ويوجد أحاديث صحيحة غيره بنفس المعنى
- فالدّم حين يرتفع ضغطه تحمر العينان وتنتفخ الأوداج
- " فإذا ..... بالأرض " يلصق ويلزق يعني يلتصق ، يعني إن كان واقفاً يجلس وإن لم يذهب غضبه بذلك أو إذا غضب وهو جالس يضطجع يعني يركن وينام على الأرض كي يهدأ
- فعليه أن يقلل من الحركة؛ إن كان واقفاً يقعد وإن كان قاعداً يضطجع حتى يهدأ قليلاً

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني علماً يقربني من الجنة ويبعدني من النار قال: (( لا تغضب ولك الجنة )) .

- فعليه أن يتمالك تصرفاته .
- هذا الحديث ليس عام لكل الناس؛ ما قاله النبي ﷺ هنا هو خاص بالسائل حيث أن النبي ﷺ علم مما أعلمه الله من الغيب أن هذا إن ملك غضبه فإنه يكون من أهل الجنة لأن مشكلته الكبرى التي تغالب أعماله الصالحة هي الغضب ، أما باقي أعماله السيئة لا تغالب أعماله الصالحة بل أعماله الصالحة تغلبها .
- النبي بشر كثير من الصحابة بالجنة بشرط ، وهذا لعلمه ﷺ أن هذه هي المشكلة الوحيدة عنده ، كما في قوله: " ما ضر عثمان ما فعل بعد ذلك ... " وحديث المرأة التي كانت تتكشف ، وهذه أمثلة على الحالات التي لا تعمم بالطبع .
- هذا الحديث يمكن أن يؤخذ على أنه مطلق بشرط ألا تأتي بالمعاصي والكفر فهو مقيد بنصوص أخرى ، فكل مطلق في الشريعة مقيد و كل عام مخصص .

## الحديث السادس عشر - الأربعين النووية

وقال ﷺ: (( إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفئ النار الماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ )) .

وهذا اتفق على استحبابه العلماء .

فيستعمل الماء ، الماء يطفئ الغضب ، معاوية رضي الله عنه صعد المنبر فكلمه أبو مسلم الخولاني فغضب سيدنا معاوية ، سيدنا معاوية صحابي جليل من كتبة الوحي وفتح الفتوح الإسلامية ومن أفضل أئمة الإسلام ، وبشر النبي صلى الله عليه وسلم أول فاتح في البحر بالجنة فكان معاوية من أول من فتح في البحر ، فهو مبشر بالجنة إن شاء الله ، وطبعاً اختلف مع سيدنا علي رضي الله عنه وكلاهما في الجنة ، سيدنا علي أفضل ولكن هذا لا يمنع كون سيدنا معاوية من أئمة الصحابة ، فنحن نحب الاثنين حباً عظيماً ، كلاهما هدى الله به الأمة ، سيدنا معاوية من أئمة العلماء وأئمة الصحابة ، لما صعد المنبر كلمه سيدنا مسلم وأغضبه ، فماذا فعل ؟ نزل من على المنبر ثم اغتسل ورجع إلى المنبر وقال مثل أو نحو هذا الحديث ( إن الشيطان خلق من النار . . . . . ) كان حليماً ، وتعلمون قصة الرجل الذي جاءه وهو خليفة فقال إني أقسمت أن أضربك على رأسك ، فقال أوف بقسمك وارفق بالشيخ ( لأنه كبر في السن ) هل هناك خليفة يفعل ذلك ؟ الصحابة كانوا يغضبون ، فهم بشر ، فالمأمور أن تكظم هذا الغيظ وهذا الغضب .

وقال أبو ذر الغفاري : قال لنا رسول الله ﷺ: (( إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضجع )) .

الحديث الثاني صحيح وهو يعني عن الأول في أمور القعود والاضطجاع ولكنه جاء بالأول لكي يبين أمور التوقد و... الخ ، إذا فمعنى القعود والاضطجاع في الحديث الضعيف صحيح؛ فيعمل به .

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام : إني معلمك علماً نافعاً : لا تغضب . فقال : وكيف لي أن لا أغضب ؟ قال إذا قيل لك ما فيك فقل : ذنب ذكرته أستغفر الله منه ، وإن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيرت به ، وهي حسنة سيقنت إليك .

— " قال عيسى ليحيى بن زكريا " كانا في زمان واحد " .... ذنب ذكرته " أي تذكرته فأستغفر الله منه .

— " ... حسنة سيقنت إليك " أي إذا قال شخص كلام فيك فأنت عندك مصلحتان أولاً أنك تتذكر ذنبك كي تتوب وتترك وتصلح وثانيها أنك تستغفر عن هذا الذنب ، وإن لم يكن فيك ما قيل تستفد فائدتين الأولى أنك تحمد الله على معافاتك من هذا والثانية أنك تأخذ حسنات ، فقد اغتاب رجل الحسن البصري فبعث إليه برطب كهدية على الحسنات التي أعطاهها له ، هؤلاء هم الصحابة والسلف .

— إذا قيل لك ما فيك : أي ذكر لك عيب موجود فيك بالفعل ، فقل ذنب ذكرته

— إذا قيل لك ما ليس فيك :

1 . أولاً : تحمد الله أن ما قال ليس فيك .

2 . ثانياً : هذه حسنة لك ، حيث أنه عندما يسيء إليك فإنك تأخذ من حسناته .

وقال عمرو بن العاص : سألت رسول الله ﷺ عما يبعدني عن غضب الله تعالى قال : (( لا تغضب )) .

## الحديث السادس عشر - الأربعين النووية

وقال لقمان لأبنه : إذا أردت أن تؤاخي أخاً فأغضبه ، فإن أنصفك وهو مغضب ، وإلا فاحذره .

سيدنا عمرو بن العاص قاد الجيش لفتح مصر وأثناء فتحها أرسل إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين يطلب أربعة آلاف مقاتل كي يفتح مصر فبعث إليه سيدنا الزبير رضي الله عنه وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، ففتح مصر ، سيدنا عمرو بن العاص من أعقل الناس وأحكم الناس ، أسلم وخالد ابن الوليد وهاجرا معا ، ورآهما النبي صلى الله عليه وسلم من بعد فقال ( لقد جاءكم قريش بفلذات أكبادها ) ولما كلم ملك مصر قال له الملك ( أكل جيش محمد مثلك ) قال لا ولكني أفلهم ، ولكنه طبعاً كان عنده ذكاء وحكمة ، على ماذا يدل حديث سيدنا عمرو بن العاص ؟ الجزاء من جنس العمل ، من يغضب يفعل أفعال كثيرة تغضب الله ويمكن أن يكفر ، وهناك من يسب النبي صلى الله عليه وسلم أو الله ، وقد يصل إلى الفسق فيقذف أي يتهم بالزنا وقد يضرب أو يقتل .

### الاستنتاجات:

- ما الأثر السيء للغضب في النفس وليس إنفاذ الغضب ؟ أنه يعصي الله ويتصرف بدون حكمة. حديث: "ليس الشديد بالصرعة....."، ذلك لأنه من لا يملك نفسه سيئاً ويتصرف بدون حكمة ويدخل النار، وفي الدنيا الغضب يؤدي للإصابة بالأمراض ( السكر، الضغط... إلخ)، وبه -أي الغضب- القلب يكون حاله أقل من الحال المرضي عند الله، وبهذا ينزل الإنسان درجات في مقامات الآخرة، فمن طهر قلبه وعالجه ارتفع عند الله، ومن كان قلبه مليئاً بالأمراض حتى وإن كان لا ينفذها فهذا تقل درجته في الآخرة.
- كيف نجتمع بين أن الإنسان يمكن أن يزيل أصل الغضب من نفسه وبين أن النبي ﷺ كان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله؟ النبي عليه الصلاة والسلام كان يغضب غضباً شديداً إن انتهكت محارم الله، فكان لا يغضب إلا لله. فإن الإنسان إذا كان زاهداً في الدنيا ثم أساء إليه أحد في أمر دنيوي كأخذ مال أو إساءة لن يغضب كثيراً، فعندما نصبح نقول: اللهم إني وهبت نفسي وعرضي إليك. فلا يضرب من ضربه ولا يشتم من شتمه
- ولكن إن انتهكت محارم الله فلا زهد في هذا حيث أن هذا لا علاقة له بالدنيا، وهذا من تعظيم شأن الله، وتعظيم شأن الله على شأن غيره يستدعي أن نغضب لله ولا نغضب لغيره.

